تصدر فى ندوة العلماء لكهنؤ (الهند)

البعث الاسلامي

المجلد الحادى عشر

العدد الثامن

٢٠ محرم الحرام سنة ١٣٨٧ هـ

مايو سنة ١٩٦٧ م

دعوة «الوجودية»

«ليست دعوة «الوجودية» المنتشرة فى فرنسا، إلا امتداداً ساماً لاتجاهات نظرية مؤيدة فهى تدعو إلى تحطيم كل قيد يقف فى سبيل تحقيق «انسانية الفرد» الكاملة، سواء كان هذا القيد من دواعى السماء أو الأرض، فليفعل كل إنسان ما يبدو له هو تحمياً أنه حق، و لو خالف كل ما اصطلح عليه الناس، ولو خالف العقل و المنطق أيضاً، فتلك من القيود التى فرضتها «الذات العليا» على الفرد إطاعة لقوانين المجتمع، و إنما ينبغى أن ينطلق «السيد الحيوانى الشهوانى» حيث شاء الانطلاق! و ليذهب المجتمع إلى الجحيم، و لتذهب معه كل المثل التى تعبت الانسانية فى إنشائها أجيالا متطاولة من الزمان، إذا كانت لا تحقق موافقة لمزاج هذا الفرد «المقدس الذات».

محمد قطب

شعارنا

الجمع بين القديم الصالح والجديد النافع

وبين الايمان الراسخ والعلم الواسع

Phone 22948 Regd. No. L. 1692

ALBAAS-EL-ISLAMI

Nadwatul Ulama, LUCKNOW. (India)

إقرأ هذه الكتب

العدالة الاجتماعية فى الاسلام	(طبعة رابعة)	للاستاذ سيد قطب
التصوير الفنى فى القرآن	(. . .)	. . . . .
مشاهد القيامة	(طبعة ثالثة)	. . . . .
فى ظلال القرآن	(٣٠ جزءاً)	. . . . .
الاسلام و السلام العالمى	(طبعة ثانية)	. . . . .
معركة الاسلام و الرأسمالية	(. . .)	. . . . .
ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين	(طبعة سادسة)	للاستاذ أبى الحسن الندوى
الانسان بين المادية و الاسلام		للاستاذ محمد قطب
دراسات فى النفس الانسانية		. .
فى النفس و المجتمع		. .
شبهات حول الاسلام		. .
الدعوة الاسلامية دعوة عالمية		للاستاذ محمد الراوى
الاسلام على مفترق الطرق		للاستاذ محمد أسد

تطلب من جميع المكتبات الاسلامية فى العالم العربى

Printed by : S. M. HASANI at Nadwa Press, LUCKNOW.

البعث الإسلامي

شهرية - إسلامية - جامعة

عنوان الادارة: البعث الاسلامى ، دار العلوم لندوة العلماء لكهنؤ (الهند)

الهاتف: ٢٩١٧٤ — ٢٢٩٤٨

التلغراف: NADWA, Lucknow.

الاشتراكات

فى الهند و باكستان : —

عشر رويات — ثمن العدد روبية واحدة .

فى العالم العربى : —

(بالبريد العادى) جنيه واحد (استرلينى)

(بالبريد الجوى) جنيهان و نصف (استرلينى)

فى أفريقيا الجنوبية و الشمالية : —

(بالبريد العادى) جنيه واحد (استرلينى)

(بالبريد الجوى) ثلاثة جنيهات ونصف (استرلينى)

مطلوب وكلاء و موزعون فى كل بلد إسلامى و و فى المهاجر ، و فى كل قطر - شرقياً كان أم غربياً - تعيش فيه الجالية الاسلامية .

- الاشتراكات فى باكستان ترسل إلى مجلة فاران كيمبل اسٹريٹ كراچى رقم ١ باكستان
- نرجو تزويدنا بآخر ما يقع من حوادث و أنباء إسلامية فى الوطن الاسلامى الكبير بأسرع ما يمكن مع وافر الشكر !

وكالات المجلة

- مكتبة المنار الكويت
- مكتبة الآداب الرياض السعودية
- مكتبة النور طرابلس الغرب ليبيا
- المكتبة الوطنية الزاوية ليبيا
- مكتبة الثقافة الدوحة قطر
- مدثرحسين الصديقى الجامعة الاسلامية المدينة المنورة السعودية
- الأستاذ محمد الأمين دعاك كسلا السودان
- الأستاذ ابراهيم النعمة دار الكتب الموصل - العراق
- مكتبة الحضارة الاسلامية حلب - سوريا
- مكتبة الحرمين ص ب ٥١١ الدمام (السعودية

شهرية أدبية إسلامية

تصدر عن ادارة

البعث الإسلامي

العدد الثامن — المجلد الحادى عشر

٢٠ محرم الحرام ١٣٨٧ه — مايو ١٩٦٧م

رئيس التحرير : محمد الحسني

مدير التحرير : سعيد الأعظمي

موجز الفهرست

- التوجيه الاسلامى ص ٩
- الدعوة الاسلامية ص ٣٣
- من مذكرات الدعوة ص ٥١
- أقتصادنا فى ضوء الاسلام ص ٦٨
- فى رياض الشعر و الأدب ص ٨٢
- العالم الاسلامى ص ٨٩

(ندوة العلماء)

قامت ندوة العلماء على مبدء الجمع بين الدين الخالد الذى لايتغير و بين العلم النامى الذى لايتحجر، بين صلابةالحديد فى الثبات على العقيدة ، وبين نعومة الحرير فى اقتباس العلوم النافعة ، فبينما العالم الدينى فى عقيدته و عبادته جبل ثابت . إذا هو فى علمه ودراسته و تقدمه نهر عذب جار . و بينما هو فى نصوص الدين و عزائمه مرابط على الثغر و حارس للامانة . إذا هو فى تفهيمه و دعوته جندى مهاجم و مسلح على أحدث طراز . و بينما هو فى الأول لا يعرف الهوادة إذا هو فى الثانى لا يعرف الجمود ؟

محتويات العدد

جان بول سارتر والأدب الوجودى محمد الحسنى ٣

التوجيه الاسلامى

صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن فضيلة الشيخ عبد الرحمن محمد الدوسرى ١٠

الاسلام والحضارة الغربية الدكتور محمد محمد حسين ١٦

الى ممثلى البلاد الاسلامية سماحة الأستاذ أبى الحسن على الحسنى الندوى ٢٤

الدعوة الاسلامية

نحو التوحيد الخالص الدكتور مير ولى الدين ٣٤

التدين نزعة فطرية أصيلة الأستاذ محمد الراوى ٤٤

من مذكرات الدعوة

أسبوعان فى تركيا الاسلامية الحبيبة سماحة الأستاذ أبى الحسن على الندوى ٥٢

الربانية : أصل الدين وسمة المسلمين فضيلة الشيخ المحدث حبيب الرحمن الأعظمى ٥٩

اقتصادنا فى ضوء الاسلام

مكانة الاقتصاد الاسلامى بين النظم الأستاذ محمد فاروق النبهان ٦٩

عناصر الانتاج فى المجتمع الاسلامى الأستاذ محمد أبو السعود ٧٦

فى رياض الشعر والأدب

سليمان عليه السلام فى القرآن الأستاذ الشهيد سيد قطب ٨٣

دموع و دماء (شعر) الأستاذ أبو حيدر (سوريا) ٨٦

العالم الاسلامى

معجزة الاسلام فى كوريا السيد محمد جميل ٩٠

الثورة على علمانية العلوم وتخطيطها الاسلامى الجديد الدكتور محمد رفيع الدين ٩٧

بسم الله الرحمن الرحيم

جان بول سارتر و الادب الوجودى !

الوجودية Existentialism من التيارات الفكرية و الأدبية المعاصرة التى صادفت هوى فى نفوس الأدباء وتجاوبت مع أفكار كثير من الشباب المثقف الحر المنطلق فى فرنسا و بالتالى فى سائر أوربا .

وكان نصيب واحد من زعماء هذه الحركة الأدبية و الفلسفية جان بول سارتر Jean paul sartre أكثر من زعيمها الآخر مارسيل Marcel شهرة و قبولا ، مع أن مارسيل يعتبر من أقطاب الوجودية ، و هو مؤسس مدرسة فكرية مستقلة فى المذهب الوجودى .

و نرجع قليلا إلى الوراء فنلتقى بالدريه جيد (١٨٦٩ - ١٩٥١) الذى نال اعجاب الجمهور المثقف و تخطت شهرته البلاد و الأمصار ، وبرز على مسرح الأدب القصصى العالمى كقائد وزعيم .

فماذا كان السبب فى نجاحهما و شيوع أفكارهما فى أوربا بينما فشل الآخرون ؟ و ما هو السر فى هذه الشهرة السائرة الذائعة الصيت ؟ و ما الذى حمل بعض أقطاب السياسة فى العالم العربى على تكريم واحد منهم و الترحيب به على الصعيد الرسمى ؟

ذلك ما نحاول عنه الاجابة فى السطور الآتية ؟

أما السر فى نجاحهما و شيوع أفكارهما فهو نقدهما اللاذع على

التقاليد و الأخلاق ، و المبادئ ، المزعومة ، فهو نفس الشئ الذى نجده فى داروين و فرويد و أدلر ، أمثالهم .

و قد يلتقى سارتر مع فرويد فى كثير من الخطوط ، و ربما استقى منه جزءاً كبيراً من نظريته الشاذة عن الحياة و الوجود والعدم ، كما يلتقى أحياناً مع أندريه جيد الذى سبقه فى دعوته إلى الانطلاق العام عن المبادئ الخلقية التى يفرضها لمجتمع ، فجمع بين سوآتهما و أضاف إليها ما أملى عليه فكره ونفسه من نظريات و آراء أكثرها غامضة مبهمة تنم عن ذهن مائع لا يستقر فى مكان ، و لا يطمئن إلى نتيجة و فكرة

إنه يؤمن - كفرويد - أن Mature Sex Impulse هو نتيجة تطورات طويلة و إنه متأصل عميق فى الكيان البشرى منذ طفولته ، و إنه يسرى فى العلاقات الانسانية كلها ، و لكنه يضيف إليه أن الدافع إلى الجنس ليس القوة الجنسية و أسبابها فحسب بل إن نزعة الوجودية الكامنة فى الانسان تدفعه على ذلك (١)

أما أندريه جيد فقد اعترف الأدباء أن سارتر شديد التأثير بهذا الكاتب الفرنسى و قد أخذ منه مفهومه عن الخير و الشر و الاقدار الخلقية ، و أكمل منه ما نقص و زاد فيه زيادات ، و هو يؤمن كأندريه جيد أن هذه الأقدار كلها نسبية لا مطلقة ، و أن الانسان هو صانع هذه الاقدار أو خالقها بلا استثناء (٢) كما أنه تأثر إلى حد كبير بالفلسفى الوجودى الألمانى هيدجر Heidegger الذى مزج الباطنية بالالحاد وعرف

(1) اقرأ Being and Nothingness (Introduction) By J. P. Sartre

(2) الأدب الفرنسى للدكتور يوسف عيد ص 45-50

به ، و لكن يبدو من دراسة أنه تلمذ على فرويد - فكرياً - أكثر من أى شخص آخر ، و قد شهد بذلك Hazele Barnes الذى نقل كتابه الهام - أو المبهم فى عبارة أصح - إلى اللغة الانجليزية ، و هو شديد الاعجاب به ، كثير الاستيحاء منه .

فالسر الوحيد فى بروزه و شهرته أنه برر للشباب طريق الهوى ، و زينه بالعلم و الفلسفة والأدب و الرواية ، بالعكس من مارسيل مؤسس مدرسة فكرية خاصة فى المذهب الوجودى الذى نتحدث عنه قريباً .

ونستعرض الآن بعض نظراته الأساسية التى قامت عليها الوجودية ، إن الايمان بالله هو العائق الوحيد عند الوجوديين ، لأن الانسان إذا آمن بقدرة تسيره و حكمة تدبر أمره ، و قوة تسيطر عليه ، و رقابة لا تنفك عنه فهو لايستطيع أبداً أن يستقل بوجوده و لا أن يتحمل المسؤلية دون غيره أو دون الله ، فوجود الانسان نفسه و حبه للحرية والانطلاق و تحمل المسؤليات على حسابه و عدم التقيد فى تقاليده و أوضاعه ينفى وجود الخالق المدبر ، و قد أشار إليه الأستاذ Hazele Barnes فى مقدمته لكتاب سارتر Being and Nothingness بشئ من التفصيل .

و قد رد سارتر على تصور Leibniz للحرية الذى يقول : بأن الله أودع فى كل إنسان جوهراً خاصاً Essence ، ثم تركه و أعطاه الحرية الكاملة أن يتصرف فى حياته وفق ما يقتضى منه هذا الجوهر - و هى نظرية تشبه نظرية القدرية التى كانت تؤمن بالتعطل وتجرد الخالق عن قدرته و صفاته وكان جوابه عليه أن هذه الحرية ليست حرية فى أى حال من الأحوال لأننا إذا فرضنا أن الله خلق فينا جوهراً خاصاً فمعنى

ذلك أنه يكيف الحياة تكييفاً خاصاً وتتسم حياة الانسان - إذاً - بطابع محدود خاص (١) .

و ذلك يشير بصراحة و يؤيد قولنا بأنه يعتبر الايمان بالله عائقاً كبيراً فى حرية الانسان . و لا يحب أن يرى فى الانسان أثراً ما للتعاليم الالهية وأوامرها . لأنها - عنده - تفسد عليه حريته أو بالأصح - تضيع فرصته - فرصة التمتع بالأهواء و التمرغ فى الشهوات .

الوجودى لا يؤمن بوجود الله و لا يؤمن بنظام خلقى يسود على الانسانية . الانسان عنده حر و مسئول فى ذات الوقت ، لكنه مسئول أمام نفسه ، لا أمام الله (٢) إنه لا يعتمد على عقله و لا يعتمد على الروح ، و لا يؤمن بالله و لا بنفسه هو يقول إن الانسان مجموعة أعماله وهذه الأعمال ظل ما يملى عليه وجوده * * * * * إنه يعارض أى نظام و تنسيق للحياة البشرية - لأنه ينافى الحرية المطلقة عند القوم - و يقضى حياته بتوجيه من عمله و وجدانه فحسب ، أيا كان نوعه . و مهما جر من ويلات على البشرية (٣)

وننتقل إلى ناحية أخرى لها أهمية كبرى فى تكييف حياة الوجوديين وهى تلقى الضوء على نظرة «سارتر» على الأقدار الخلقية والخير و الشر ، و علاقة الانسان بالانسان .

و نستطيع أن نلخص فكرته فى جملة واحدة ، و هى أن هبوطنا و سقوطنا و أخطاءنا لا وجود لها بنفسها ، بل إن لهـا مبرراً من وجود

(1) Being and Nothigness (Introduction by Trans Lator)
(2) نفس المصدر ، نفس الصفحة
(3) الأدب الفرنسى ص 414

الآخرين الذين نعيش فيهم ، فلولا «هولاء» أو لولا «الخارج» ما كان لهذه الأخطاء معنى، ويشرح هذه النظرية بقوله - "It is Before the others that I am Guilty" و يقول فى صدد الكلام « إننى مجرم إذا رأيت إلى الآخرين (١)

و يقول إننا نعساء مساكين فى هذا العالم لأن وجود كل واحد منا هو تدخل فى وجود الآخر بطبيعة الحال و من غير أن نحب أو لا نحب ، فاحترام بعضنا لبعض و استحياء بعضنا من بعض و مفاهيمنا الأخرى لا حاجة إليها لأنها حملة سافرة Voilation على هذه الحرية التى نحترمها (٢)

و يضرب لذلك مثلا فى التعليم فيقول : إن هناك منهاجا للمعارف يرغم الأولاد على اعتناق ما يبغى من قيم و أقدار و يسوقهم إلى أهدافه الخاصـة التى يريدها ، و هناك منهاج آخر أكثر توسعاً و مرونة ، فهو لا يستخدم هذه الخشونة أو الضغط ، و لكنه يريد أن يوجـه الأولاد إلى أغراض معينـة ، مع أن ترغيب الأولاد (إذا فرضت عليهم قيم معينة) ليس أقل خطراً من الترهيب ، و هكذا الاحترام لحرية الآخرين فهو أيضاً كلام فارغ لأنه تجريح لحريتنا التى ننشدها (٣)

هذه خلاصة بعض أفكار هذا الوجودى و بعض مقوماته الأساسية التى تدل على فلسفته الحائرة التى يسميها L'etreet neant بالفرنسية أو Being and Nothingness بالانجليزية ، و قد تدور معظم أبحاثه بين الوجود بنفسه Being for Itself و الوجود لغيره Being for others

(1) Being and Nothtngness P. 409-410
(2) نفس المصدر ص 409
(3) ايضاً

و لكن الطابع الذى يتسم به أبحاثه من غير استثناء هو طابع اليأس و الألم و المقت ، و التذمر و الحسرة ، و الشعور بأنه لا يستطيع أن يعبر عن وجوده و ذاتيته على الوجه الذى يريده ، فالحرية المطلقة مهددة دائماً بالآخرين الذين يعيش بينهم حتى يموت ، و الشعور بهذا العبء الثقيل ، عبء المسؤلية الكبرى التى حملها على عاتقه وحده تكميلا لحريته المفقودة المنشودة ، و الشعور بالخواء الروحى العظيم الذى نشأ من أجل الالحاد ، و نبذ القيم الخلقية ، و اعتبار المجتمع و الدولة و الأسرة و العائلة متدخلة فى شئون الفرد ، منغصاً حريته ، و لكنه يحاول أن يكسو هذا الشعور القاتل بالعزلة والوحدة و الخيبة و اليأس ثوب الفلسفة و الأدب ، فيأتى أدب غامض مبهم ، و فلسفة مليئة بالمتناقضات والأضداد و الأسئلة الحائرة التى لا تجد جواباً ، و غموض لا يقبله العقل السليم ، وشذوذ لاتستيغه الفطرة السليمة ، وتستعصى عليه هذه الأسئلة وتزعجه حتى يضطر إلى أن يوخر الرد عليها و البحث فيها لعمل قادم Future work و قد أعلن بذلك فى آخر كتابه :

إنه يدعو إلى الحرية المطلقة الدائمة البريئة عن كل قيد ، ثم يقيدها بوجود الآخرين ، فيتركهم ليعيشوا أشقياء أبداً ، تعساء دائماً ، يحلمون بها فلا يجدونها و ينشأ بين وجود و وجود ، أو بين Being for Itself و بين Being for others لون من العداء أو نوع من الجفاء ؟

(للبحث صلة)

محمد الحسنى

- معالم فى الطريق .
- و أضواء على الشعارات الزائفة .
- و تصوير للموقف الاسلامى الصحيح .
- و دعوة إلى منبع الاسلام الصافى النقى .
- خطوط عريضة للفكر الاسلامى الثائر الذى لا يقبل المساومة و البيع و الاستسلام و لا ينسجم مع الغرب المادى أيما انسجام .

التوجيه الإسلامي

بقلم

صفوة الآثار و المفاهيم من

تفسير القرآن الكريم

فضيلة الشيخ عبد الرحمن محمد الدوسرى

الثامن و الأربعون بعد المأة : العابد لله حقاً لا يتجاوز نصوص الوحيين من كتاب الله و سنة رسوله ﷺ ، معتقداً كفايتهما فى كل شئ مستيقناً أن ربه سبحانه ليس (نسياً) و أنه لا يعزب عن علمه شئ ، فى السموات و لا فى الأرض ، و أن علمه محيط بالسابق و اللاحق ، و أن أحكامه و تشريعاته كافية مغنية لحل جميع المشاكل فى كل عصر ، و أن ما يجرى مما يسميه أعداء الله تطوراً إنما هو زيغ و ضلال ، و تهتك و انحلال ، و أن التطور الصحيح يجب أن يمشى وفق ما شرعه الله ، فاذا خالفه فليس تطوراً ، بل هو رجوع إلى جاهلية و همجية جديدة ، و إن ظهر بألوان و أسماء مخترعة شتى ، للدجل و التضليل ، فان خبثاء القصد و العمل قد يهرجوا جاهليتهم بطلاء العلم و المعرفة ، و الحضارة والمدنية، ليبرروا تسميته تطوراً و العلم الصحيح و المعرفة الحقة على خلاف ما يريدون ، لأنهما يدلان إلى الله و يخضعان صاحبهما لحكمه .

فالعابد لله المتصور لمقصوده من إرسال الرسل يعرف أن الجاهلية ليست صورة معينة لفترات تاريخية ، قد مضت و انتهت بلا رجعة ، و ليست مقابل ما يسمى بالعلم و المعارف والرقى والحضارة . لأنها لو كانت

كذلك من هذا النوع أو ذاك لفندها القرآن ، وعاب أهلها بعدم معرفتهم العلوم و الفنون المادية ، و النظم الادارية أو السياسية ، و لأوضحها لهم ليخرجوا بها من جاهليتهم إلى طور جديد ، فأعطاهم البديل من الجهل المادى بعلم الكيمياء و الفلك و الرياضة و الطبيعة و البولوجيا و غيرها ، و أعطاهم البديل من الجهل السياسى بالنظريات السياسية المختلفة فى المكر و الخديعة ، و لكن جاهليتهم ليست من عدم علمهم بهذه الأشياء و ممارستهم لها ، فان عندهم علوما مادية ورياضية على حسب متطلبات بيئتهم و زمانهم ، و عندهم من فنون القوة و الجمال شيئاً لم يبلغ بعضه من بعدهم كما قال تعالى فى الآية ٩ من سورة الروم و الآية ٦٩ من سورة التوبة و الآية ٢١ من سورة المؤمن، وغيرها من أساليب المكر السياسى ، ما يلائم أحوالهم مما يماثل المكر المعاصر أو يزيد .

و إنما جاهليتهم مبنية على اتباع الهوى و الشهوات و تقليد الآباء، و مسايرة الناس بغير هدى من الله ، بل على أساس رفض وحى الله و محاربة رسله و أتباعهم ، و إعلان بعضهم و التنفير عنهم ، و تمجيد الاعتماد على النفس و انطلاقها فى التصورات و الأفعال ، دون وازع سوى حكم الطاغوت أو القوة المادية .

هذه حقيقة الجاهلية الأولى المعادية لرسل الله ، سواء كانت جاهلية عربية ، أو رومانية ، أو يونانية ، أو فرعونية ، أو فارسية أو هندية ، أو صينية ، فلا عبرة بالأسماء و لا بالانتساب ، إنما العبرة بالحالة النفسية التى تأبى الانقياد لأمر الله و الرضوخ لحكمه ، اتباعا للهوى و رغبة فى الأنانية و النفوذ المطلق بأى صورة ظهرت .

و بهذا التعريف الظاهر المنضبط الصحيح يتضح لعبد الله أن لكل قوم فى كل زمان جاهلية فيحذرها ، و يفر منها إلى الله ، بالاستمساك بوحيه و الاستغناء به ، و الرجوع إليه فى كل ورد و صدر ، و اعتقاد أن جميع المظاهر و التصورات و الأعمال المخالفة له جاهلية و رجس ، من مبتكرات الطواغيت المختلفة ، و يدرك الأغوار البعيدة و المقاصد الخبيثة لما يطنطن به الملحدون ، و المغفلون من كلمات الحرية و الحضارة و المدنية ، التى هى من شعارات الماسونية البارزة فى الثورة الفرنسية ، و ألاعيبها فى السلطنة التركية ، تلك الأمور التى كان من ثمراتها الحنظلية تمركز اليهودية العالمية وأذنابها بكثير من المراكز الحساسة فى أغلب الدول المنصبغة بالجاهلية الحديثة ، سواء ادعت العروبة أو الاسلام ، أو النصرانية أو غيرها ، من الألقاب المبهرجة .

كما كان من ثمراتها فصل الدين عن الدولة بل إقصاؤه عن جميع واقعيات الحياة و مناصبة العداء و استغلالهم مسمى (الحرية) بجميع أنواع الالحاد و العهارة التى تهز القيم الدينية و الأخلاق النبوية ، و الأعراف المنبثقة منهما ، و تجاهر بتسفيه أهلهما و تشكيك الناس فيهما ، و اطلاق العنان للشهوات البهيمية تحت رعاية دولهم ، مما يجعل هذه الدول على غاية من (الدياثة) لا قرارها السوء فى أعراض أهاليها و تشجيعهم على ذلك ، و يعملون بكل جد و نشاط على جعل الانسان يعبد نفسه بخدمتها و السعى وراء متطلباتها دون الالتفات إلى الله ، بل جعل الانسان يعبد إنساناً مثله باسم المبدء أو الفلسفة للبدء أو الزعامة فيه ، و إعطائه قداسة الألوهية بتعظيم صورته ، و عرض تمثاله على الجماهير ، و الانحناء له

حياً و ميتاً فى قبره ، بل يعملون على عبادة الشخص لفئة الخاصة أو وطنه كما هو معروف معمول به فى مناهج القوميات التى قلبوا فيها دين الحق ، دين تعدد بمختلف الغايات و الأصنام الناطقة و الاتجاه إليها ، مما جعلهم فى أحط أنواع الجاهلية وأعقدها ، فى سوء التأثير أو الاصرار بسبب عمق التضليل ، و قوة الدجل ، و اللعب بالعواطف ، و استغلال العلم المادى ، و سائر الفنون فى هذا السبيل ، بحيث قال شاعرهم :

لا رب إلا الشعب جل جلاله فله العبادة لا شريك له ينوب

و قال الشاعر الوثنى الآخر :

انطلق فى ضحاها و مساها يا أخى قد أصبح الشعب إلهاً

مع أن الشعب الذى يتغنى المغرضون باسمه ، و يأخذون كل شئ باسمه ويحاكمون ويقتلون ما شاؤوا باسمه ليس له من أمره ولامثقال ذرة بل يسوقه الحكم العسكرى الغاشم إلى ما يريده ، و يحركه تحريك الآلة ، بحيث تكون الأنعام أحسن منه حالا ، و قد قدمنا فيما مضى أن ذلك عقوبة من الله يجريها على من تنكب عن عبادته فيبتليه بعبادة من لا يرحمه و لا يقبل منه ، معذرة و لا تسويفاً .

و منشؤ هذه الأحوال التى يتردى بها الانسان هو الانتقاص من كفايه وحى الله ، وعدم الاستغناء به و الانشغال بتدبره . فتحصل الرغبة فى غيره أو طلب المزيد من غيره لحل المشاكل . فتلطخ الأدمغة ، و تفسد التصورات . و بفساد التصور يحصل الانحراف ، و ينقلب الاتجاه بانقلاب المفاهيم ، حتى إن الذين ابتلوا بالنظريات العصرية و المذاهب الثورية يرفضون الأخلاق والفضيلة ويزدرون ما يسمى (الحق) فلا يوجد

عندهم ميزان صحيح للحق و الفضيلة ، كأن الحق و القيم الخلقية ليست إلا أشياء نسبية اقتصرت شرعيتها و فائدتها على زمان أو مكان خاص ، أو بيئة مخصوصة .

و قد لقبوا المجتمعات المؤسسة على الدين والأخلاق النبوية بالجمود و التزمت و التأخر ، و عملوا على القضاء عليها باسم العلم و الفنون ، و التصنيع و التجميل كأن ذلك لا يتم إلا على حسابها ، و صدق معنى الحديث (المروى عن على عن رسول الله ﷺ أنه قال : إنها ستكون فتنة ـ قلت ـ ما المخرج منها يا رسول الله ـ قال ـ كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم ، و خبر ما بعدكم ، و حكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، و من ابتغى الهدى من غيره أضله الله ، و هو حبل الله المتين ، و هو الذكر الحكيم ، و هو الصراط المستقيم ، هو الذى لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ولا يشبع منه العلماء و لا يخلق عن كثرة الترداد ، و لا تنقضى عجائبه ، هو الذى لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدى إلى الرشد فآمنا به، من قال به صدق و من عمل به أجر و من حكم به عدل و من دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم)

فكل ما حدث و ما يحدث من النظريات و الفتن و الفساد وأنواع المحن سببه الانحراف عن تحقيق العبودية لله و الانصراف عن وحيه زهداً فيه أو انتقاصاً له إلى غيره ، من العلوم المادية والنظريات الماسونية اليهودية المتنوعة ، و هداية الله النافعة فى كل ميدان والدالة على عبوديته و طريق مرضاته و المحققة للوحدة و الأمن الصحيح و العيشة الراضية فى

الدارين لا تحصل إلا من طريق الوحيين كتابه و سنة رسوله (ﷺ) فالمنحرف عنها أو المنصرف إلى غيرهما مبتعد عن عبودية الله و هدايته و نيل وعده الصادق

و روى الامام أحمد و النسائى و الدارمى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال خط لنا رسول الله ﷺ خطاً ثم قال هذا سبيل الله ، ثم خط خطوطاً عن يمينه و عن شماله ، و قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ، و قرأ (وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ٦ ـ ١٥٣)

ولا يحصل الاستغناء بالنصين ، وتحقيق اعتقاد كفايتهما إلا بالاقبال التام عليهما ، و بذل الجهد فى معرفة معانيهما و حصر التلقى بجميع أنواع الهداية منهما و حصر معالجة المشاكل كلها فيهما و التصميم الجازم على دفع كل ما عارضهما مع اعتقاد فساده عاجلا أو آجلا فيرفض كل مذهب أو نظرية أو عادة تخالفها من أى مصدر كانت ، و بذلك تكمل عبودية الله و يصدق فى ضراعته لله بسؤال الهداية إلى الصراط المستقيم .

﴿يتبع﴾

الاسلام و الحضارة الغربية

الدكتور محمد محمد حسين
استاذ الأدب العربى بجامعة الاسكندرية

بذلك وجد عامل جديد فى صلات الاسلام بالحضارة الغربيـــة ، هو تدخل الغرب نفسه فى توجيه هذه الصلات ، و التخطيط لأساليبها و وسائلها بينما ظلت هذه الصلات فى طريقها القديم ، الذى بدأ بأحساس المسلمين بالحاجة إلى اصلاح مجتمعهم لكى يواجه الفساد الداخـــلى الذى يعانى منه المسلمون فى حياتهم من ناحية ، و لكى يواجه الخطر الخارجى الذى يهدد كيانهم من ناحية أخرى ، ظلت هذه الصلات تستأنف سيرها فى طريقها القديم ، تتأثر بالعامل الجديد فتقترب منه أو تلتقى به فى بعض الأحيان ، وتنظر منه وتدرك خطورته فتعارضه وتهاجمه فى أحيان أخرى .

إلى جانب هذين المنهجين وجد منهج ثالث فى بلاد العرب ، لم يعمل عملا مباشراً فى صلات الاسلام بالحضارة الغربية ولكنه ترك أثراً غير مباشر فى توجيهها . و هذا المنهج الثالث والعنصر الجديد تمثل فى نصارى العرب و نصارى الشام منهم على وجه الخصوص ، كان هولاء النصارى من الشآميين كما كانوا يسمون - أو من السوريين واللبنانيين و الفلسطينيين والاردنيين كما نسميهم الآن - لايشاركون المسلمين فى الاحساس بالولاء القلبى الخالص للحكم الاسلامى القائم الذى تمثله الدولة العثمانـــية و هو

أمر طبيعى فى أصل وجوده لا يدعو إلى الغرابة ، ولا سيما إذا أضفنا إليه فساد الدولة فى آخر أيامها ، و هو فساد كان يشكو منه المسلمون و المسيحيون و العرب و الترك على السواء ، من أجل ذلك كانت آمال هذا الفريق من نصارى العرب تتعلق بالعلمانية الغربية ، التى تقوم عـــلى الفصل بين الدين والدولة ، والتى لايتحكم فيها الاسلام فى التنظيم السياسى و الاجتماعى ، و التى يزول معهـا احساس المسلمين بالاعتزاز و احساس النصارى بالذلة والانكسار ، الذى يخالط مشاعر الأقليات فى أكثر الأحيان .

هذه تيارات ثلاثة كانت تجرى فى أرض العرب ، الذين يتجه إليهم فكرى بنوع خاص حين أتكلم عن الاسلام والحضارة الغربية . فلنحاول فيما بقى لنا من الوقت أن نتتبعها فى ايجاز واحداً تلو الآخر ، و قبـــل أن أبدأ الحديث عنها أحب أن ألفت النظر إلى أمرين يجب أن يضعهما الباحث فى هذا الموضوع نصب عينيه لكى يأمن الزلل ، و لكى لا يضل الطريق ، و لكى لا يخدع عن حقائق الأمور .

أحد هذين الأمرين هو حاجتنا الشديدة إلى اعادة النظر فى تقويم الرجال ، لأن كثيراً ممن نعتبرهم دعائم النهضة الحديثة لم يصبحوا كذلك فى أوهام الناس إلا بسبب الدعايات المغرضة ، التى أرادت أن تضعهم فى هذه المنزلة لتحقق بذلك أغراضها فى نشر مذاهبهم ، والتمكين لآرائهم ، ولأن كثيراً من الآراء المنحرفة التى لم تكن تستطيع أن تجد طريقها إلى الفكر الاسلامى و إلى مجتمعاته قد أصبح قبولها ممكناً ، بنسبتها إلى هذه الزعامات و إلى هولاء الأئمة الذين لايتطرق إلى الناس شك فى إخلاصهم و علمهم ، و الواقع أن كثيراً من هولاء الرجال قد احيطوا بالأسبـاب

التى تبنى لهم مجداً و ذكرا بين الناس ، و لم يكن الغرض من ذلك هو خدمتهم و لكن الغرض منه كان و لا يزال هو خدمة المذاهب والآراء التى نادوا بها، والتى وافقت أهداف الاستعمار و مصالحه فقد أصبح يكفى ترويج أى مذهب فاسد فى تأويل الاسلام .

كما لاحظ جب فى كتابه *Modern Trends in Islam* أن يقال أنه يوافق رأى فلان أو فلان من هولاء الأعلام ، و يكفى فى التشهير بأى رأى سليم أن ينسب إلى ضيق الأفق ، الذى لا يلائم ما اتصف به هذا أو ذلك من سعة الأفق و السماحة و صحة الفهم لروح الاسلام ، على ما تزعمه الدعايات ، و ليس مهما أن يكون ذلك عن حسن قصد منهم أو عن سوء قصد، وليس مهما أن يكون الاستعمار هو الذى استخدمهم لذلك و وضع على السنتهم و أقلامهم هذه المذاهب و الآراء أو أن تكون هذه الآراء قد نشأت بعيدة عن حضانته ورعايته ، ثم رآها نافعة له فاستغلها و عمل على ترويجها ، المهم فى الأمر هو أن المجد الذى ينسب لهولاء الأقوام ليس من صنعهم و لا هو من صنع الشعوب التى عاشوا فيها ، و لكنه من صنع القوى التى استخدمتهم أو التى تريد أن تستغلهم ، سواء كانت هذه القوى هى الاستعمار أو هى الصهيونية العالمية بمختلف وسائلها و أجهزتها .

وخطة الاستعمار والصهيونية العالمية فى ذلك كانت تقوم ولاتزال على السيطرة على أجهزة النشر التى نسميها الآن (الاعلام) و القاء الأضواء من طريقها على كتاب و مفكرين من نوع خاص و يبنون و ينشئون بالطريقة التى يبنى بها نجوم التمثيل و الرقص و الغناء ، بالمداومة

على الاعلان عنهم و الاشادة بهم، واسباغ الألقاب عليهم ونشر أخبارهم و صورهم ، و ذلك فى الوقت الذى يهمل فيه الكتاب والمفكرون الذين يصورون وجهات النظر المعارضة و تشوه آراؤهم و تسفه ، ويشهر بهم ، ثم هى تقوم على تكرار آرائهم آناً بعد آن لا يملون من التكرار ، لأنهم يعلمون أنهم يخاطبون فى كل مرة جيلا جديداً . أو هم يخاطبون الجيل نفسه فيتعهدون بالسقى البذور التى ألقوها من قبل .

و نحن حين ندعو إلى اعادة النظر فى تقويم الرجال لا نريد أن ننقص من قدر أحد ، ولكننا لا نريد أن تقوم فى مجتمعنا أصنام جديدة معبودة لأناس يزعم الزاعمون أنهم معصومون من كل خطأ وأن أعمالهم كلها حسنات لاتقبل القدح والنقد، حتى إن المخدوع عنهم والمعتصب لهم و المروج لآرائهم ليهيج و يموج إذا وصف أحد الناس أماما من أئمتهم بالخطأ فى رأى من آرائه ، فى الوقت الذى لا يهيجون فيه و لا يموجون حين يوصف أصحاب رسول الله ﷺ بما لايقبلون أن يوصف به زعماؤهم المعصومون ، فيقبلون أن يوسم سيف الاسلام خالد بن الوليد بأنه قتل مالك بن نويره فى حرب الردة طمعاً فى زوجته و يرددون ما شاع حول ذلك من أكاذيب ، و يقبلون أن يلطخ تاريخ ذى النورين عثمان بن عفان بما ألصقه به ابن سبا اليهودى من تهم .

و يقبلون ما يروى الاصبهانى فى كتاب الاغانى فى سكينة بنت سيد شباب أهل الجنة الحسين من أخبار اللهو و المجون و يرددون ما يذاع من أخبارها دون الرشيد الذى كان يحج عاما ويغزو عاما، ثم أصبح فى أوهام أبناء هذا الجيل رمزاً للخلاعة و الترف ، بل كان يصبح رمزاً

للاسراف فى طلب الشهوات ، و صورة من أبطال (ألف ليلة و ليلة) يقبلون ذلك كله ثم يرفضون أن يمس أحد أصنامهم بما هو أيسر منه ، و يحتمون بحرية الرأى فى كل ما يخالفون به اجماع المسلمين و يأبون على مخالفيهم فى رأى هذه الحرية ، يخطئون كبار المجتهدين من أئمة المسلمين و يجرحونهم و يثورون لتخطئ ساداتهم أو تجريحهم .

أما الأمر الآخر الذى احب أن ألفت النظر إلى خطورته فهو تطوير الاسلام لكى يوافق الأمر الواقع فى حياتنا العصرية . و قد بدأ هذا الاتجاه كما رأينا فى أول الأمر باحساس الحاجة إلى مواجهة الأقضية الجديدة باستنباط أحكام شرعية توافقها ، فرأينا صدى ذلك فيما كتبه الطهطاوى و خير الدين التونسى فكتب الطهطاوى فى (مناهج الألباب) عن (اقتضاء الأحكام و المعاملات العصرية تنقيح الأقضية و الأحكام الشرعية ، بما يوافق مزاج العصر بدون شذوذ) مقترحا وضع مدونة قانونية عصرية شاملة .

و دعا خير الدين إلى الاجتهاد فى أضيق الحدود باعادة النظر فى الأحكام المترتبة على العادات إذا تغيرت ، ورد على من احتج بأنه لايحق لنا (إحداث شرع جديد لعدم أهليتنا للاجتهاد) بأن هذا (ليس بتجديد اجتهاد من المقلدين ، بل هو قاعدة اجتهد فيها العلماء و أجمعوا عليها) .

كانت الدعوة إلى الاجتهاد فى هذا الطور مقتصدة على الاقتصاد ، تدعو إليه فى أضيق الحدود ، و لا تنكر التقليد بل هى تسلم به ، و تسلم بأن أهل هذا العصر ليسوا أكفاء الاجتهاد ، ثم إن الدعوة أصبحت من بعد على يد محمد عبده و مدرسته و لا سيما رشيد رضا ، دعوة عامة

تهاجم التقليد و تطالب باعادة النظر فى التشريع الاسلامى كله دون قيد ، فانفتح الباب على مصراعيه للقادرين و لغير القادرين و لأصحاب الورع و لأصحاب الأهواء ، حتى ظهرت الفتاوى التى تبيح الافطار لأدنى عذر ، توسعاً فى قوله تعالى (وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين) واستناداً إلى اباحته فى غزوة الفتح .

و ظهرت الفتاوى التى تبيح المعاملات التى تقوم على الربح ، و تقسيم الربا إلى ربا ظاهر و هو ربا النسيئة ، الذى يتضاعف فيه الدين أضعافا مضاعفة ، و ربا خفى و هو ربا الفضل ، و لا تحرم إلا ربا النسيئة ، أو تحرم الربا فى أصناف معينة (الخلافة ٩٨ يسر الاسلام ٥٨) و ظهرت الفتاوى التى تحظر تعدد الزوجات وتحظر الطلاق ، وتجيز تدخل القضاء فيهما ، و ظهرت الآراء التى تجعل الاسلام داخلا فى هذا المذهب أو ذاك من المذاهب السياسية و الاجتماعية التى ابتدعتها الحضارة الغربية الحديثة ، و بذلك تحول الاجتهاد فى آخر الأمر إلى تطوير للشريعة الاسلامية ، يهدف إلى مطابقة الحضارة الغربية أو الاقتراب منها إلى أقصى ما تسمح به النصوص من تأويل على أقل تقدير .

فالاجتهاد الذى يحترم النصوص الشرعية ويحثها فى حدوده ونزاهته شئ، و التطوير الذى يهدف إلى تبرير قيم الحضارة الغربية شئ آخر ، الاجتهاد الذى يتمسك بمبادئ الاسلام يقوم بها عوج الحياة شئ ، والتطوير الذى ينزل على الأمر الواقع ويبرر عوج الحياة بنصوص الشريعة شئ آخر ، نقطة البدء فى اجتهاد المجتهد هى هذا السؤال : هل يصح هذا الأمر شرعا أو لا يصح ، أو ما هو حكم الأسلام فى هذا الأمر ؟

و نقطة البدء فى تطوير المطور هى : ما هى النصوص الشرعية التى تثبت صحة هذا الأمر ؟ أو : ما هى النصوص الشرعية التى تثبت حرمة هذا الأمر ؟

و خطر التطوير على الاسلام و على المجتمع الاسلامى يأتى من وجهين فهو افساد للاسلام يشوش قيمه ومفاهيمه الأصيلة بادخال الزيف على الصحيح و يثبت الغريب الدخيل و يؤكده ، فبعد أن كان الناس يشاركون فى تصاريف الحياة و هم يعرفون أن هذا الذى غلبوا على أمرهم فيه ليس من الاسلام ، و الأمل قائم فى أن تجىء من بعد نهضة صحيحة ترد الأمور إلى نصابها عند الامكان، يصبح الناس و هم يعتقدون أن ما يفعلونه هو الاسلام ، فاذا جاءهم من بعد من يريد أن يردهم إلى الاسلام الصحيح أنكروا عليه ما يقول و اتهموه بالجمود و التمسك بظاهر النصوص دون روحها .

و تقليد المغلوب للغالب مرحلة طبيعية طارئة تزول مع زوال الضعف و اختلاط الحق بالباطل ، و الدافع بالضار فى هذه المرحلة أمر طبيعى كذلك وهو مرحلة من مراحل التطور الصحيح تجىء بعدها التصفية والتمحيص عندما تزول غواشى الضعف والخمول ، فاذا برزنا ذلك الغريب الدخيل - خيره و شره - تبريراً إسلامياً فى حال الضعف و العجز فقد أصلناه من ناحية و قد أقحمنا على الاسلام ما يفسد بنيته من ناحية أخرى ، لأنه يصبح اخلاطاً من عناصر شتى لا تجمعها رابطة ولايضمها نظام و لا يشبه بعضها بعضاً ، فهذا هو أحد الوجهين فى ضرر التطوير و هو وجه لا يعنى إلا المسلمين .

أما الوجه الآخر لضرر التطوير - و هو الذى يعنى أعداء الاسلام - فهو أن هذا التطوير ينتهى بالمسلمين إلى الفرقة التى لااجتماع بعدها. لأن كل جماعة منهم سوف تذهب فى التطوير مذهباً يخالف غيرها من الجماعات، و مع توالى الأيام نجد إسلاما تركياً و إسلاما هندياً و إسلاما إيرانياً و إسلاما عربياً ، بل ربما وجدنا فى داخل هذا الاسلام العربى ألواناً أقليمية تختلف باختلاف البلاد، بل لقدسمعنا مثلا منذ الآن أحد المنتسبين إلى الاسلام من الهنود يتحدث فى مؤتمر برنستون للثقافة الاسلامية و الحياة المعاصرة سنة ١٩٥٣ عن الاسلام الهندى الحديث (ص ٧٨ ، ٨١) و سمعنا سمث يروى عن أحد المسؤلين من الترك فى كتابه (Islam in Modern History) كلاما يتحدث فيه عن إسلام تركى خاص (ص ١٩٣) .

﴿يتبع﴾

إلى ممثلى البلاد الاسلامية

سماحة الأستاذ السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى

كان العالم قبل ثلاثة عشر قرناً سائراً سيره الطبيعى لا ينكر من أمره شئ ، فكانت القرى و المدن عامرة بالسكان ، و كانت العواصم الكبرى زاخرة العمران ، شامخة البنيان ، و كانت الحرف البشرية ووجوه المعاش فى ازدهار و انتشار ، كانت الزراعة ، و كانت التجارة ، وكانت الصناعة ، فبينما كانت سكة الفلاح فى شغل ونشاط كانت القوافل التجارية غادية رائحة بين الشرق و الغرب ، و كانت الأسواق مشحونة بالمتاجر و البضائع ، و كان الصناعون مكبين على أعمالهم ، و كانت الحكومات و الامارات و الدول غنية بأموالها و رجالها ، لكل وظيفة رجل كفؤ بل رجال أكفاء ، و كان على وجه الأرض كل نوع من البشر ، و كل لون من الحياة ، و كل مظهر من مظاهر المدنية ، لا يرى فى الحياة الانسانية المادية عوز أو فراغ ، و لم تكن فى المدنية وظيفة شاغرة يترشح لها مترشح جديد ، و كانت كأس الحياة مترعة لا تطلب المزيد .

فى هذه الحال ظهرت أمة فى جزيرة العرب و وجد نوع جديد من البشر ، و كأنى بالأمم المعاصرة و هى تتساءل : أى داع إلى ظهور أمة جديدة ، والأمم على وجه الأرض كثيرة منتشرة ؟ و ما شغل هذه الأمة

الحديثة و ما مهمتها فى العالم ؟ !

و كأنى بها تقول : إذا كانت هذه الأمة إنما بعثت للزراعة وعمارة الأرض فقد كان فى فلاحى الطائف و أكارى مدينة يثرب ، و زراع وادى الفرات و النيل و ربوع گنگا و جمنا غنى عن أمة زراعية جديدة ، فقد أصبحت أراضى هؤلاء الفلاحين و بلادهم جنة تدر لبناً و عسلا ، و إذا كان المسلمون إنما بعثوا ليشتغلوا بالزراعة فقط فلماذا لم يبعثوا فى العراق و فى مصر و الهند و هى بلاد مخصبة زراعية ، و لماذا كان مبعثهم فى واد غير ذى زرع ؟

و إذا كانت هذه الأمة إنما بعثت للتجارة ، فقد كان فى يهود يثرب و فى أنباط الشام و فى أقباط مصر و تجار السند كفاية ، فقد أحكموا فن التجارة و انتشروا فى العالم ، و إذا كانوا قد بعثوا ليشتغلوا بالتجارة حقاً ، فلماذا لم يبعثوا على طريق القوافل التجارية و بقرب من أسواق التجارة الكبرى ؟

و إذا كانت هذه الأمة إنما بعثت للصناعة و أعمال اليد ، فقد كان فى قيون البلاد المتمدنة و أصحاب الصنائع و الحرف - و إنهم لكثير - غنى و كفاية !

وإذا كانت هذه الأمة إنما بعثت لتنضم إلى الحكومات الرومية و الايرانية و تشغل أفرادها وظائف هذه الحكومات و مناصبها ، فقد كان فى أهل الشام و فارس غنى وكفاية فى الادارة ، و أنهم يزاحمون الأجانب بالمناكب و يدفعونهم بالراح .

وإذا كانت هذه الأمة بعثت لعيش هنيئ ، ومطعم شهى ، ومشرب

مرىء ، و ملبس رضى ، و مسكن بهى ، لا لشئ آخر ، و إنما مناها و همها أن تلق لبوساً و مطعما لم تكن بدعا من الأمم ، و كانت منافسة لنا فى ميدان الحياة فحق لنا أن نقاتلها و نذودها عن مناهلنا و قد ضاقت بنا فكيف تسع أمة جديدة ؟

و إذا كانت هذه الأمة إنما تحاول ملكا أو تريد أن تؤسس دولة فيجب أن تصرح بذلك و تتخذ له طريق الملوك و الفاتحين ، و لا تتظاهر بالدين .

و إن الطريق إلى كل ذلك من زراعة و تجارة و صناعة و وظيفة و حياة بذخ و ترف و ملك و شرف غير الطريق التى سلكتها هذه الأمة الجديدة ، فقد سفهت أحلامنا وعابت آلهتنا ، و نعت على عقائدنا و أخلاقنا و أعمالنا ، و دعت إلى دين جديد ، و سارت فى سبيل ذلك فى شوك و قتاد و جاهدت فى غير جهاد .

لقد كان الطريق إلى الرفاهية أو الحكومة مسلوكة معبدة قد سلكتها الأمم من قبل ، و مشى عليها الملوك و أصحاب الطموح فى عصرهم ، فمن حال بينها و بين هذه الطريق ؟ و ما الذى عدل بها عن جادة الحياة و هى معلومة واضحة ؟ !

هذا ، يا سادتى ! ما أظنه تناجى به ضمير الانسان العاقل فى فجر الاسلام ، و لا ألومه ، و لا استغرب هذا السؤال ، فان هذا السؤال طبعى ينبغى أن يهجس فى قلب الانسان وينطق به اللسان عند كل ناشئة ، فلماذا لا ينشأ هذا السؤال عند ظهور أمة بأسرها ؟

ما هو الجواب ؟ إذا كان الجواب فى الاثبات و إذا كان مبعث هذه

الأمة فى الحقيقة لشئ مما ذكرناه ، و لم تكن لهذه الأمة مهمة جديدة فى العالم و رسالة خاصة إلى الأمم كانت هذه الأمة حقاً من فضول الأمم و من المتطفلين على مائدة العالم !

و لكن لم يبعثها لهذا و لا ذاك ، و الأمم و الأشخاص لا يبعثون لشئ من هذا ، و إنما هى من طبائع البشر لا تحتاج إلى نبوة نبى و لا بعثة أمة و جهاد طويل و زلزال عالمى لم يسبق فى التاريخ ، زلزال فى المعتقد و الأخلاق و الميول و النزعات ، و فى نظام الفكر ومنهاج الحياة .

لقد كان مبعثها لغرض سام جداً ، لمهمة غريبة طال عهد الانسانية بها وتشاغلت أمم الأنبياء عنها حتى نسيتها ، وذلك ما خاطب به الله سبحانه و تعالى هذه الأمة : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر و تؤمنون بالله » ! فنبه على أن هذه الأمة ليست نابتة نبتت فى الأرض كأشجار برية أو حشائش شيطانية ، بل إنها أمة أخرجت ، و لأمر ما أخرجت ! و إنها لم تظهر لمصلحتها فحسب ، كسائر الأمم ، بل إنها أخرجت للناس ، و ذلك ما تمتاز به هذه الأمة فى التاريخ ، فما من أمة إلا و هى وليد أغراضها و رهين بطنها و شهواتها تعيش لأجلها ، وتموت فى سبيلها ، أما الأمة الاسلامية فهى أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله وتجاهد فى سبيل الله

ظهرت نواة هذه الأمة فى مكة - قلب جزيرة العرب فقام العقلاء من قريش - و هم الآخذون بزمام الحياة فى البلاد ، و نثروا كنانة فكرهم و قاسوا الناشئة الجديدة بمقاييسهم التى عرفوها و ألفوها و وزنوها فى ميزان الانسان الذى طالما وزنوا فيه أصحاب الطموح ، فوجدوهم خفاف

الوزن ، طائشى الكفة ، و ذهبوا إلى إمام الدعوة الاسلامية و أول المسلمين فى العالم - ﷺ - فقال قائلهم :

« إنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم و سفهت به أحلامهم و عبت به آلهتهم و دينهم و كفرت به من مضى من آبائهم ، فاسمع منى أعرض عليك أموراً تنظر فيها ، لعلك تقبل منها بعضها »

فقال له رسول الله ﷺ : « قل ، يا أبا الوليد ، أسمع ! »

قال : « يا ابن أخى ! إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا ، جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، و إن كنت إنما تريد شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك ، و إن كنت إنما تريد ملكا ملكناك علينا » (١)

سمع رسول الله ﷺ كل ذلك فى هدوء و تأن ، ثم رفضه فى غير شك و تأخير ، و لم يكن هذا العرض من قريش على شخص الرسول ﷺ فحسب ، بل كان على هذه الأمة التى يمثلها و يقودها ، و لم يكن رفض رسول الله ﷺ لما عرضت قريش رفضاً عن نفسه الكريمة فقط ، بل كان رفضاً عن أمته إلى آخر الأبد .

إقتنعت قريش بهذه المحاورة و يئست من مساومة هذه الأمة و لم تعد تعرض على الرسول الله ﷺ مباشرة و على هذه الأمة بواسطة ما عرضت من قبل و قطعت منها أملها .

و كان بعد ذلك صراع مستمر و نزاع طويل ، و لم يكن نزاعا فى أغراض المادة ، و شهوات البطن ، و الاستئثار بموارد الرزق والتغلب

(1) البداية و النهاية ، لابن كثير

على الأسواق ، بل كان نزاعا بين الاسلام و الجاهلية بمعنى الكلمتين ، نزاعا بين حياة العبودية والانقياد لله تعالى ولرسوله ، و بين الحياة الحرة المطلقة التى لا تعرف قيداً و لا تخشى معاداً و لا حساباً .

و كان فى نتيجة ذلك معركة بدر الحاسمة ، و قد قاد النبى ﷺ إلى ساحة القتال جيشاً لا يزيد عدد المقاتلين فيه على ثلاثمائة و ثلاثة عشر رجلا ، والجيش المنافس فيه ألف محارب ، و كان النبى ﷺ يعلم يقيناً أن لو وكل المسلمون إلى أنفسهم و قوتهم الماديه فالنتيجة معلومة واضحة ، نتيجة كل قليل ضعيف أمام قوى كثير العدد !

فزع الرسول إلى الله تعالى فى إنابة نبى و إلحاح عبد و دعاء مضطر ، و شفع لهذه العصابة فى كلمات صريحة واضحة ، نيرة خالدة ، هى خير تعريف لهذه الأمة و بيان لمهمتها و غرضها الذى خلقت له .

لم يقل رسول الله ﷺ لو هلكت هذه العصابة و كانت فريسة للعدو ، أقفرت المدينة و أوحشت أسواقها ، و كسدت التجارة ، وبطلت الزراعة ، أو تعطل شغل من أشغال الحياة ، أو وقفت إدارة الحكومات لم يقل رسول الله ﷺ شيئاً من ذلك لأن شيئاً منها لم يتوقف على المسلمين و لم يقم بهم بل كان قبل وجود المسلمين ولا يزال فى غنى عنهم ، و لكن الرسول ﷺ ذكر شيئاً بعث المسلمون لأجله و قام بالمسلمين وحدهم فقال : « أللهم إن تهلك هذه العصابة لن تعبد »

أجاب الله دعاء الرسول ﷺ و قضى بانتصار المسلمين على عدوهم وبقائهم فكأنما كان بقاء المسلمين مشروطاً بقيام حياة العبودية بهم وقيامهم بها ، فلو انقطعت الصلة بينهم و بين العبادة ورواجها وازدهارها فى العالم

انقطعت الصلة بينهم و بين الحياة و لم يبق على الله لهم حق و ذمـــة و أصبحوا كسائر الأمم ، خاضعين لنواميس الحـــياة و سنن الكون ، بل كانوا أشد جريمة و أقل قيمة من الأمم الأخرى إذ لم يشترط لبقائها و حياتها مثل ما اشترط لهم ، و كان كما أخبر الله تعالى « قل ما يعبؤبكم ربى لو لا دعاؤكم ، فقد كذبتم فسوف يكون لزاما »

و قد حافظ المسلمون على هذا الشرط و بروا بهذا العهد وتذكروا أنهم إنما نصروا على عدوهم و قد كاد يأتى عليهم و يستأصلهم فى ساحة بدر وتركوا على ظهر الأرض لأن عبادة الله منوطة بهم على ارض الله .

بهذه الرسالة انبثوا فى العالم ، و حملوهـــا إلى الملوك و السوقة و الأمم ، و فى سبيل ذلك هاجروا و جاهدوا ، و لأجـــل ذلك حاربوا و عاهدوا ، و لم يزالوا يعتقدون أنهم مبعوثون من الله إلى الأمـــم ، و حاملو رأية الاسلام فى العالم .

أرسل سعد قبل القادسية ربعى بن عامر إلى رستم ، قائد الجيوش الفارسية و أميرهم ، فدخل عليهم و قد زينوا مجلسه بالنمارق المذهـــبة و الزرابى و أظهر اليواقيت و اللآلى الثمينة و الزينة العظيمة و عليه تاجـــه و غير ذلك من الأمتعة الثمينة و قد جلس على سرير من ذهب . ودخل ربعى بثياب صفيقه و سيف و ترس و فرس قصيرة ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط ثم نزل و ربطها ببعض تلك الوسـائد ، و أقبل و عليه سلاحه و درعه و بيضته على رأســـه ، فقالوا له : « ضع سلاحك، فقال : « إنى لم آتكم و إنما جئتكم حين دعوتمونى ، فان تركتمونى هكذا و إلا رجعت » فقال رستم : « ائذنوا له » فأقبل يتوكأ على رمحه

فوق النمارق فخرق عامتها ، فقالوا له : « ما جاء بكم ؟ » فقال : « الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ، و من ضيق الدنيا إلى سعتها و من جور الأديان إلى عدل الاسلام ، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم ، فمن قبل ذلك قبلنا منه و رجعنا عنه ، و من أبى قاتلناه أبداً حتى نفضـــى إلى موعود الله » قالوا : « و ما موعود الله ؟ » قال : « الجنة لمن مات على قتال من أبى ، و الظفر لمن بقى » (١) .

أباح الله للمسلمين الطيبـات و فسح لهم فى طرق الكسب و وجوه المعاش و لم يضيق عليهم فى ذلك ، فقال : « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده و الطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيـــا خالصة إلى يوم القيامة » وقال : « فاذا قضيتم الصلاة فانتشروا فى الأرض و ابتغوا من فضل الله » و لكن الله لم يبعثهم لتلك أمة ، و لم يرضه لهم غاية و مهمة ، بل خلقهم للسعى للآخرة ، و خلق أسباب الحياة لهم قال النبى ﷺ : « إن الدنيا خلقت لكم و إنكم خلقتم للآخرة » و جعل الحياة و أسبابها خاضعة لمهمتهم التى بعثوا لأجلها، فاذا زاحمتهم فى سبيل مهمتهم أو غلبتهم عليها رفضوهـا و إذا تلكأ المسلمون فى ذلك عاتبهم الله عتابا شديداً ، و قال : قل إن كان آبائكم و أبناؤكم و إخوانكم و أزواجكم و عشيرتكم و أموال اقترفتموها و تجارة تخشون كسادها و مساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره و الله لا يهدى القوم الفاسقين »

أراد الأنصار رضى الله عنهم ، أن يتفرغوا لاصلاح أموالهم لأيام

(1) البداية و النهاية ، لابن كثير

اكتفاءاً بأنصار الاسلام ، فعاتبهم الله على ذلك و أنزل : « و لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة »

قال سيدنا أبو أيوب الأنصارى رضى الله عنه : « إنما نزلت فينا معشر الانصار ، إنا لما أعز الله دينه و كثر ناصروه قلنا فيما بيننا : لو أقبلنا على أموالنا فأصلحناها ! فأنزل هذه الآية » (١)

و لكن مع الأسف الشديد قد تشاغل المسلمون اليوم بالدنيا كأمم الجاهلية و سعوا وراءها و عقدوا حياتهم بها : فاذا أشرفتم على مدنهم و بلادهم من مرقب عال لم تميزوا بينهم و بين أفراد أمة جاهلية ، سعى وراء المادة فى غير اقتصاد ، و اكتساب من غير احتساب ، سهر فى غير طاعة ، و عمل فى غير نية ، تجارة فى لهو عن ذكر الله ، و حرفة فى جهل عن دين الله ، و وظيفة فى الاخلاص لغير الله ، و حكومة فى مشاقة حكم الله ، شغل فى ضلالة ، و قعود فى بطالة ، و حياة فى غفلة وجهالة ! (٢)

{يتبع}

---

(1) رواه أبو داؤد فى سننه

(٢) محاضرة للاستاذ الندوى ألقاها فى المؤتمر الثقافى الآسوى الذى عقد فى دهلى فى ابريل سنة ١٩٤٧م ، حضره الممثلون من الأقطار الاسلامية و الدول العربية .

الدّعوة الإسلاميّة

- الدعوة الاسلامية ليست ضرورة خلقية و حاجة اجتماعية ومصلحة بشرية كما يزعمها بعض المسحورين الذين يخافون على أنفسهم ، تهمة الرجعية فى كل حين بل إنها قبل كل شئ ، الطريق إلى الدار الآخرة ، « وإن الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون »
- إنها تختلف عن سائر الدعوات فى التفكير و المنهج والعمل ، وتجمع بين الشعور و الوجدان و العاطفة والعقل ، و تهتم بالفرد الواحد مثلما تهتم بمجموعة الأفراد .
- إنها دعوة الأنبياء والمرسلين ، و الخلفاء الراشدين ، و الصحابة و التابعين و هى تريد أن تحافظ على خصائصها و سماتها ، و قسماتها و ملامحها رغم سيل المادية الجارف ، ورغم سيطرة القيم الغربية ، ورغم « العلم المزعوم الموهوم » و رغم ما يعانيه (المتحضرون) من ضيق الصدر و مركب النقص ، و ما يعتريهم من خجل و حياء واستنكاف عن تمثيل هذا الطراز القديم الكريم ، الذى وعد الله به النصر المبين فى الدنيا و الدين .

نحو التوحيد الخالص !

الدكتور ولى الدين
(مغرب)

لماذا وجد هذا الكون ؟ و خلق فيه الجن و الانس ؟

و لكى نرد على هذا السؤال نرجع إلى القرآن دون نظر إلى الفلاسفة الذين يعبثون بالجماهير السذج والبسطاء من الناس ، و يلعبون بعقولهم التى تعجز عن إدراك كنهه و الرد عليه ، « ذرهم فى خوضهم يلعبون » .

أما القرآن فانه منبع النور و الهداية و كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . إنه يصرح و يقول : « و ما خلقت الجن و الانس إلا ليعبدون » و معنى العبادة هو توحيد الله سبحانه وتعالى ، فقد قال إمام المفسرين عبد الله بن عباس : لم يرد كلمة العبادة فى أى آية من القرآن إلا بمعنى التوحيد ، كأن من سنة القرآن أن يطلق العبادة بمعنى التوحيد ، فاذا قلنا « إياك نعبد وإياك نستعين » فكأنما قلنا « نوحدك و نطيعك » ، « و أياى فاعبدون » معناها : أن يتمكن توحيدى فى قلوبكم .

إن الجمال فى تعبير العبادة عن التوحيد هو أنه يتضح بذلك أن العبادة إنما تنحصر لذات الله سبحانه و تعالى و هو الذى يستحق بها دون

غيره و ينتفى به الشرك بتاتاً ، و قد عبر عنه بايضاح و صراحة فى آية أخرى فقال : « و اعبدوا الله و لا تشركوا به شيئاً » ، و مما لا شك فيه أن الله سبحانه لم يخلقنا إلا لعبادته و معرفته ، و ليست الغاية من حياتنا والهدف من عيشتنا إلا العبادة والخضوع لله والخنوع والضراعة أمامه، إننا إذا عرفنا الله تعالى فقد وحدناه ، و ذلك ما دعا إليه جميع الأنبياء عليهم السلام . و كان ذلك هو الهدف الأسمى والغاية الاصيلة من بعثتهم

إن عصارة دعوة الانبياء طراً و خلاصة رسالتهم جميعاً أن يدعوا أممهم - كل فى عصره - إلى عبادة الله سبحانه و تعالى و يقول « يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره » أو يقول : « أن لا تعبدوا إلا إياه » و ما دعا نوح قومه إلا إلى نفس هذا المبدء فقال مدوياً مصرحا : أن اعبدوا الله واتقوه و أطيعون ، و جاء هود و صالح و شعيب بعده فوجه كل منهم دعوة التوحيد إلى قومه بنفس هذا الخطاب « يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره ، أما ابراهيم عليه الصلاة والسلام فخاطب قومه يدعوهم إلى العبادة و التقوى فقال : « اعبدوا الله و اتقوه ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ، و برأ نفسه من الشرك و المشركين فقال : « إننى بريئ مما تعبدون ، إلا الذى فطرنى فانه سيهدين ، و وصى هو و يعقوب بنيه : « إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا و أنتم مسلمون ،

و ما بلغ لوط قومه و موسى فرعون و أهله إلا رسالة العبادة و التوحيد ، و لم يبعث محمد ﷺ إلا بدعوة التوحيد و رسالة العبادة و التقوى ، و ختم الله عليه هذه الدعوة إلى يوم القيامة فقال بلسان نبيه : « قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً الذى له ملك السموات .

الأرض لا إله إلا هو يحيي و يميت ، فآمنوا بالله و رسوله » (١)

و بالجملة أن النقطة المركزية التى تدور حولهادعوة جميع الأنبياء و رسالاتهم هى التوحيد ، فقد أجمع عليها الأولون منهم و الآخرون ، و لقد أشار إلى هذا المعنى القرآن فى قوله تعالى: « و ما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون » (٢)

و لذلك فان كلمة الايمان الأساسية هى « لا إله إلا الله محمد رسول الله » التى تتضمن معانى توحيد الاله و الايمان بالرسالة ، و التى لابد من من الايمان بهـا عن علم و يقين لكى يدخل المرء فى حظيرة الاسلام ، إن كلمة (لا إله) اسم صفة معناها المعبود ، و تؤيد ذلك آيات كثيرة من القرآن ، نذكر عدة منها :

« و هو الذى فى السماء إله و فى الأرض إله »

« أم لهم إله غير الله ، سبحان الله عما يشركون »

« و جاوزنا ببنى اسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم ، قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة »

« و انظر إلى إلهك الذى ظلت عليه عاكفاً لنحرقنه ثم لننسفنه فى اليم نسفاً ، إنما إلهكم الله الذى لا إله إلا هو ، وسع كل شئ علماً »

كل هذه الآيات تؤيد أن كلمة الاله معناها المعبود ، و ليست « لا إله إلا الله » إلا اعلاناً صارخا بأن المعبود هو الله ، و هو الذى يستحق أن يعبد و يخضع له ، و هو الذى يجب أن يتصل به كل إنسان فى كل

(1) سورة الأعراف الآية 158
(2) سورة الأنبياء الآية 25

حال من الشدة و الرخاء ، و السراء و الضراء ، إن رسالات الأنبياء جميعاً تتلخص فى إفراد العبادة لله ليس غير .

و يضاد هذا المعنى الاشراك بالله فى العبارة ، لأن المؤمن الموحد إنما يعبد الله و ينيب إليه ، أما المشرك فانه يشرك غيره فى العبادة ، و قد ذكر الله سبحانه و تعالى فى سورة الأنعام ثمانية عشر نبياً ثم أخبر أن هولاء « لو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون .

و بهذه التصريحات يتضح لنا كالشمس فى رابعة النهار أن الانسان لم يخلق فى هذا الكون إلا ليعبد الله وحده ، و لم يبعث الأنبياء إلا لنشر هذه الدعوة و تعميم هذه الرسالة فى الأمم فبشروا بالايمان و أنذروا بمصير الاشراك و عاقبته المشؤمة ، و أعلنوا بجهر و صراحة « لا إله إلا الله » .

و لما كانت غاية الحياة الانسانية هى توحيد العبادة لله يجب أن نفكر فى مفهوم العبادة و معناها ، و نعرف حقيقة الشرك و خطره على المجتمع الانسانى بأسره ، و ذلك لكى ننجح فى تحقيق الغاية التى خلقنا لأجلها ، و المعلوم أن العمل لا يعود ذا تأثير بدون العلم الصحيح ، فان الدنيا الخداعة و زخارفها الفانية لا قرار لها و لا بقاء إلا لأجل مسمى يمر فيه الانسان بمراحل شتى من الطفولة و الشباب و الكهولة و الهرم و بألوان من المحن و النعم ، و البلاء و الرخاء .

و لكن مسرحية الحياة لا تنتهى بمجرد موت الانسان ، و لايسدل عليها الستار بانقطاعه عن الدنيا ، بل و يبتدىء منظر جديد للحياة ، منظر شاخص حى للآخرة حيث يحاسب الانسان على أعماله و يجزى حسب

ما عمل و قضى حياته فى الدنيا ، و لا شك أن الحياة الحقيقـة ، هى الدار الخالدة التى لا نهاية لها و لا فناء ، و ليس فيها إلا النعيم والراحة أو الجحيم و العذاب ، فان مات الانسان على التوحيد الخالص والايمان فليس له جزاء إلا الجنة و النعيم ، أما الكافر أو المشرك فيخلد فى جهنم كالحاً ، و قد أوصى ابراهيم و داؤد عليهما السلام ذريتهما « فلا تموتن إلا و أنتم مسلمون »

و لنقف هنا قليلا و نتأمل فى معانى العبادة بشئ من التفصيل !

العبادة فى اللغة معناها « غاية التذلل و الخنوع » و فى الشرع يراد بها أفعال العباد و أقوالهم وأحوالهم التى تتصل بعظمة الله تعالى وجلالته بصفة خاصة ، و العبادة اسم للجنس يتضمن أنواعا كثيرة منها :

١ ـ العبادة الاعتقادية : و هى رأس كل نوع و أصـله ، و هى التى نطلق عليها معنى « توحيد الاله » و القرآن لا يريد من العـبادة فى بيانه إلا هذا النوع من العبادة ، و هى اعتقاد بأن الله هو الواحد المعبود الرب الأحد ، و هو الخالق ، له الخلق و الأمر كله ، و هو المالك و الحاكم و النافع و الضار ، و هو المولى ، و كذلك الاعتقـاد بخصائص الألوهية كلها ، فان الدعاء و النداء و الاستغاثة و الاستعانة و الالتجاء و الرجاء و الخوف مصدر كل ذلك هو الله وحده .

٢ ـ العبادة اللفظية : و هى الاعتقاد بكلمة « لا إله إلا الله محمد رسول الله » باللسان فمن آمن بها من قلبه و لم يعترف بها باللسان عصم ماله و دمه ، أما من قالها باللسان و لم يعتقدها من قلبه فهو منافق و لو عصم ماله و دمه و حسابه على الله .

٣ ـ العبادة البدنية : و هى كالقيام و الركوع و السجود فى الصلاة و الحلق و ما إلى ذلك .

٤ ـ عبادة الصيام و مناسك الحج و العمرة مثل النحر و الذبح .

٥ ـ العبادة المالية : كالزكاة والصدقة والانفاق فى سبيل الله امتثالا لأمر الله و طلبا لمرضاته .

و هناك أنواع كثيرة للعبادة من الواجبات و المندوبات ، لا نريد الحصر عليها فى هذه المناسبة ، إنما ذكرنا أمهات العبادة هنا ، و بكلمة أخرى نستطيع أن نحدد مفهوم العبادة بأن الأعمال التى يؤديهـا الخلق للحصول على النفع الغيبى عبادة ، فان كانت مما أذن به الله فهى عبـادة لله ، و إن كانت مما لم يأذن به الله فهى عبادة لغير الله .

و لنكن على بال أن الانسان ليتأثم بالشرك فى مثل هـذه الأفعال و العقائد ، فان كثيراً من الناس قد أخذهم الشرك فى أمور العبادة ، و ذلك بأنهم اعتبروا غير الله إلهاً اتبعوه لجلب المنفعة ، و اعتقدوه النافع و الضار ، ثم عظموه و قدسوه و خضعوا أمامه لـكى لا يفوت النفع الآتى منه ، و خطوا بعد ذلك خطوة أخرى فاستغاثوا منه و اتصلوا به عند الخوف و الرجاء ، و استعانوا به و التجاؤا إليه ، و أنفقوا فى سبيله نصيباً من المال ، و أخيراً تقدموا إليه بقرابين من الأموال و الأرواح و فعلوا معـه كل ما يفعل العبد مع ربه ، فلما دعاهم الأنبياء إلى إفراد العبادة لله ، و توحيد الرب تبارك و تعـالى و اخلاص العبادة له قالوا « أجئتنا لنعبد الله وحده و نذر ما كان يعبد آباؤنا » « أجعل الآلهـة إلهاً واحداً ، إن هذا لشئ عجاب »

إن هولاء المشركين لم ينكروا وجود الله سبحانه وتعالى ، فقد كانوا يعتقدون بأن الله موجود و كانوا يؤمنون بأن الله هو خالقنا و لكنهم كانوا لا يرون ضرورة إلى هداية الله فى أمور الحياة ، لئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ، ، لئن سألتهم من خلق السماوات و الأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم ، و كانوا يقولون إن الله هو رازقنا و هو الذى يحيي و يميت ، و هو مدبر الأمور ، كما تشير إليه الآية : « قل من يرزقكم من السماء و الأرض ، أمن يملك السمع و الأبصار ، و من يخرج الحى من الميت و يخرج الميت من الحى ، و من يدبر الأمر فسيقولون الله ، فقل أفلا تتقون » ، و كانوا يومنون بأن الملكوت كله بيد الله و أنه رب السماوات و رب العرش « قل من بيده ملكوت كل شئ و هو يجير و لا يجار عليه إن كنتم تعملون ، سيقولون لله قل أفلا تتقون »

حتى إن فرعون الذى كان يدعى الربوبية أنطق الله موسى أمامه فقال : « لقد علمت ما أنزل هولاء إلا رب السماوات والأرض بصائر» و حتى إن إبليس قال : « إنى أخاف الله رب العالمين »

قد أوضحت لنا هذه الآيات كلها أن المشركين لم يكونوا يعدلون أحداً بذات الله تعالى فى كونه واجب الوجود ، و لا أنهم كانوا ينكرون ذاته تعالى عدا الثنويين الذين كانوا يقولون بذلك أيضاً ، أما مشركو مكة فلم يبلغوا من الشرك إلى هذا الحد و إنما كانوا يعتقدون صفات الخالق و الرزق و الملك و الحكم و الربوبية فى الله تعالى ، و يعتقدون غير الله مربوبه و مرزوقه و مخلوقه و مملوكه و محكومه فكانوا يقولون فى تلبيتهم « لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه و ما ملك »

و لذلك فلم يكن المشركون قد اعتقدوا بوجود الله سبحانه و تعالى فحسب بل و كانوا يقرون بربوبيته ، ولكنهم على رغم ذلك لماذا وصفوا بالشرك ، و دعوا مشركين ؟ و لماذا حبط صالح أعمالهم ، و وجه إليهم وعيد الخلود فى النار ، و لماذا لم يحل إيمانهم هذا دون دخولهم فى النار ولم تعتصم أموالهم وأنفسهم ؟ لماذا دعوا على ذلك بأعداء الله ؟ ووصفوا بالكذب و السحر و الظلم ، و عدوا فى المهلكين ، ولماذا قيل « إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا »

وتتلخص الاجابة على كل ذلك فى كلمة واحدة، و هى أنهم أشركوا بالله فى عبادته ، على رغم ما دعاهم النبى ﷺ إلى التوحيد فى العبادة و إفرادها لله و قال لهم : إن إقراركم بافراد الربوبية لايكفى حتى تؤمنوا بالله وحده و لا تشركوا به فى العبادة غيره ، و اعملوا بمقتضى « لا إله إلا الله » و مدلولها و لا تدعوا أحداً غيره ، و أخلصوا عبادتكم لله وحده فى السر و العلن ، و لا تركنوا إلى أحد دونه فى أى أمر كان ، فان أردتم الاستعانة أو الاستغاثة أو الذبح و النذر و الدعاء و العكوف والطواف و ما إلى ذلك فاذكروالله عند كل مناسبة دون أن يخطر ببالكم أحد غيره ، و قولوا « إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين»

و لما سمع المشركون هذه الرسالة النبوية ، قالوا : إننا لا ننكر وجود الله سبحانه و تعالى و لا نعدل الأصنام بالله ، و إنما نعتبرهم عباد الله و خلقه ، و نعتقد أن الله هو الحاكم والمالك والخالق والاله الثابت و أن الأصنام لا طاقة لهم سوى أنهم شفعاؤنا عند الله ، فان خضوعنا لهم ليس إلا لأجل أنهم سيشفعون لنا عند الله ، و أن عبادتهم تنقذنا

من سخط الله و عذابه « ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى » وذلك هو شركهم الذى ما كادوا يفطنون له .

إن نظرة على تاريخ الوثنية تبين لنا أنه لم يوجد دين أقدم من دين الوثنية على ظهر الأرض ، فان تاريخ نوح عليه السلام الذى وصل إلينا و يعد أقدم تاريخ نبوى يقول : إنه لما دعا قومه إلى عبادة الله وحده و طلب منهم « أن اعبدوا الله و اتقوه و أطيعون » بادروا بالرد عليه و أوصوا إخوتهم فى العقيدة أن « لا تذرن آلهتكم و لا تذرن ودا و لا سواعا ، و لا يغوث و يعوق و نسراً »

من كان ودا و سواعا ؟ لقد ذكر رسول الله ﷺ أنهم كانوا رجالا صالحين من قوم نوح، فلما ماتوا أقاموا علامة حيث كانوا يجلسون وسموها بأسمائهم ، ثم بدأوا يعبدونها معتقدين أن أولئك الصلحاء سيشفعون لهم يوم القيامة كما كانوا مستجابى الدعاء فى الدنيا ، و قد أخبر الله سبحانه بجالهم فى هذه الآية « يعبدون من دون الله ما لا يضرهم و لا ينفعهم ، ويقولون هولاء شفعاؤنا عند الله ، قل أتنبئون الله بما لايعلم فى السماوات و لا فى الأرض ، سبحانه و تعالى عما يشركون »

يتضح بهذا التحقيق أن الوثنيين لم يكونوا يعتقدون الأصنام إلهاً مستقلا دون الله ، و إنما كان الغرض منهم تقديس الصالحين من قومهم فنحتوا الأصنام كصورهم وزعموا أنها شفعاؤهم يوم القيامة فخضعوا لها ، و الحقيقة أنهم إنما كانوا عباد الصالحين والأولياء والأنبياء ، يقول الامام الرازى فى تفسيره الكبير :

« إنهم وضعوا هذه الأصنام والأوثان على صور أنبيائهم وأكابرهم و زعموا أنهم متى اشتغلوا بعبادة هذه التماثيل فان أولئك الأكابر تكون شفعاءهم عند الله تعالى ، و نظيره فى هذا الزمان اشتغال كثير من الخلق

بتعظيم قبور الأكابر على اعتقاد أنهم إذا عظموا قبورهم فانهم يكونون شفعاء لهم عند الله »

و هناك أمور أربعة تلزم بهذه التصريحات فلنتأمل فيها :

(١) إن الوثنيين القدامى إنما كانوا - فى الحقيقة - عباد الأنبياء و الأولياء و الصالحين من الناس فسماهم الله (مشركين)

(٢) كانوا يقولون : إن الأصنام ليست إلهاً مستقلا بذاته ، وإنما الاله هو الله تعالى ، و ما الأصنام إلا شفعاؤنا عند الله ، و وضح بهذا أن عبادة الشفيع موجب للشرك ، لا اعتقاد الشفاعة فقط .

(٣) إن ألوان العبادة و أفعالها التى صدرت من هولاء المشركين لو صدرت من مؤمن بالله عد مشركا ، و لا يحول دون شركه شئ من ادعائه الاسلام ، و ذلك ما جعل الامام الرازى اعتبر عباد القبور نظير الوثنيين .

(٤) و لما كانت عبادة غير الله باعتباره شفيعاً عند الله إشراكا بالله فلا شك أن عبادته باعتباره متصرفا فى الكون أشد منه شركا ، و ذلك كأن يبتهل رجل إلى الأولياء و الصلحاء و الأنبياء ليطلب منهم تحقيق أمنياته كطلب الرزق و الرخاء و الأولاد وقضاء الحاجات .

و ما كان المشركون يعبدون أصنامهم إلا لأجل أنهم اعتبروها شفعاءهم عند الله و مقربيهم إلى الله زلفى ، فكانوا يتضرعون أمامها و يستغيثون بها عند الحاجة و ينذرون لها نصيباً من أموالهم ، و يذبحون لها القرابين و يطوفون حولها إبداء لتضرعهم و خشيتهم ، على ما كانوا يؤمنون بربوبية الله و يعتقدونه الخالق و الرازق و المحى والمميت ومدبر الأمر فى السماء والأرض ، و ذلك ما عبر عنه القرآن فقال : وما يؤمن أكثرهم بالله إلا و هم مشركون »

التدين نزعة فطرية أصيلة

الأستاذ محمد الراوى

٢ ـ الاسلام هو الفطرة التى لازمت الانسان من بدايته ، إن نزعة التدين أصيلة فى الانسان .

فالانسان بطبيعته ينعطف إلى قوة أعلى يركن إليها و يؤمن بها ، ولهذا لم توجد جماعة قط بغير دين، و إن حادت به أو استقامت معه على الصراط المستقيم .

و إذا كان الدين نزعة فطرية كان قيامه بين الأفراد و الجماعات ضرورة حتمية استجابة لهذه النزعة .

و ما نراه من تعلق الانسان فى كثير من الأحيان بحجر أو بشر أو شئ من مظاهر الطبيعة ما هو إلا دليل انعطاف الانسان إلى القوة التى أشرنا إليها ، و استجابة للطبيعة التى تأبى إلا أن تظهر ولاءها لشئ تكبره و تخشع له .

على أن الانسانية فى استجابتها لهذه النزعة ، قد تضل فتخشع أمام شجر وحجر أو شمس و قمر ، أو أى شئ تتمثل فيه ارضاء نزعتها وتتوهمه سنداً لحاجتها و مجيباً لدعوتها .

و قد تهتدى إلى الحق فتكشف بذلك عن خصائص انسانيتها وسلامة

فطرتها فتحيا للخير و تعمل له ، و تعشق البر و تأنس به ، راضية بربها و مطمئنة بسعيها ، تأخذ دائماً بأسباب الترقى إلى الله الذى آمنت به ، و كلما ارتقت اتسع أمامها مجال الخير و أسعدها اطمئنان القلب .

على أن الله جلت قدرته لم يترك الناس ينحرفون بفطرتهم فيهيمون بين خلائق الأرض يطلبونها لشفاعة السماء ، بل هداهم إلى استقامة الفطرة و أرشدهم إلى سلامتها .

فحولهم بهذا من التسفل والسقوط إلى العلو والصعود ، فلم ينحصروا فى دائرة الأرض و إن عمروها ، بل ربطوا بينها و بين قدرة السماء ، وقد لمسوها فانطلقت الهمم بارة راشدة تربط بين كيانها هنا ومصيرها هناك ، فانفتح باب الخير و اتسع سبيله ، و عملت الفطرة فى مجالها الطبيعى لا مقطوعة و لا ممنوعة بل موصولة كل آن و حين ، تناجى ربها و تناديه و تشعر بقربه فترغب فيه ، فاستبان لها حينئذ خضوع كل شئ لقدرته ، و استجابة لعظمته ، أما و قد استبان للفطرة سبيلها السوى وطريقها الأبى على يد أول انسان و هو أول نبى ، فقد وجب أن ندرك أن عناية الله أدركت الانسان من بدايته و هى ترعاه و تحوطه إلى نهايته .

إن الانعطاف إلى التدين لم يختص به إنسان دون آخر و بهذا أمكن للانسانية أن تتوارث معارفها و يقتفى بعضها أثر بعض ، فلا ينفصل سابق عن لاحق ، و قد جمعتهم الفطرة العامة ، و مضت فيهم السنة الخالدة التى لن تجد لها تبديلا و لن تجد لها تحويلا .

و نتيجة لهذا الاتساق العجيب يمكننا أن نقرر أن ما بين الانسانية اليوم من حضارة مادية و معنوية لم يكن عمل جيل من الأجيال أو أمة

من الأمم ، بل هو عمل الأجيال كلها ممثلا فى الفطرة الهادية و المعرفة الراشدة من لدن آدم إلى يومنا هذا .

ولا يمكن فى تقديرنا نحن أن نفصل بين الجانب المادى و المعنوى فلم يكن هذا الفصل فى طبيعة الخلق حتى يمكن تحقيقه فى مجال الفكر و السلوك .

فالايمان بالجانب المادى وحده نزول بالانسان إلى واد مظلم سحيق

و الايمان بالجانب المعنوى فقط مخالفة للفطرة و منافاة للطبيعة ، هما مخلوقان لخالق واحد يشهدان للقدرة الالهية ، و هى تمنح سرها صلصالا من حمأ مسنون ليكون إنساناً بروح و جسد ، والمفرقون يجهلون أخص شئ : بهم يجهلون أنفسهم .

فأين الحياة لجسد فقد الروح ؟ و هم كذلك ينحرفون بمذاهبهم و يضلون فى سلوكهم فلا الروح وحدها ترى فترى معها حياة ، و لا الجسد بمغن فى القضية بشئ ، إذا الروح تركته وانفصلت عن ثراه !

إن الفطرة التى نعنيها إذن هى الفطرة المتكاملة التى يظهر عمل الروح فيها ، الفطرة التى من صنع الله لا من دعوى العباد .

و تلك التى نعنيها بعملها و سلوكها و إيمانها ، و هى التى لازمت الانسان من بدايته .

قلنا : إن الله جلت قدرته لم يترك الناس ينحرفون بفطرتهم ، فقد بدأ الظهور من منبعه الأصيل يمتد و ينساب بقدر ما تقضى به الضرورة وتدعو إليه الحاجة كذلك الرسالات رسالات الله منبعها واحد وأصلها واحد تنسكب هنا وهناك وتمتد بامتداد الخلق . وتمضى مع نموه وتدرجه .

آدم فى دائرته ، و نوح إلى قومه ، و عاد أخوهم هود ، و مدين أخوهم شعيب ، و ثمود أخوهم صالح ، و موسى إلى قومه ، و عيسى بين حواريه ، و محمد إلى الانسانية جميعاً إذ التقت عنده الروافد كلها وآخت معه الرسالات جميعاً .

لكن الروافد ذات المصدر الواحد ، ظلمتها أهواء الناس ، وأساءت إليها بدخيل أضافته أو حق أنكرته ، أو حكم عدل ينالها لظلمها حذفته ثم افترت ، إن ذلك كله من رسالة المرسل فهى تؤمن به ولاتحيد عنه .

و هكذا تحول العذب إلى آسن ، و اختفى الجوهر الأصيل ، و سادت العملة الزائفة ، و من ثم اختفت خصائص الانسان ، و شاعت ضراوة الحيوان ، وكلما جاء المنبع الباقى على الناس بماء الحياة لوث بصنع الناس و تغير بفعلهم !

و لم نر رجلا أنصف الحقيقة و دافع عن معتنقيها و الداعين إليها مثل ما فعل نبى الاسلام محمد ﷺ .

لهذا قلنا : إن الروافد كلها التقت عنده ، فعادت إلى طبيعتها نقية طاهرة نافعة ، كما يلتقى الماء و قد طال بمجراه بأداة الترشيح و التنظيف بعد ما تغير بفعل الناس ، فترد عنه الدخيل الضار ، و تمضى بالعذب الفرات .

و كذلك الرسالات التقت كلها عند محمد ﷺ فوجدت نفسها على طبيعتها و وجدت فيه الذائد عن طهارتها ، الحارس لجوهرها .

التقت عنده ، فوجدت بحراً فسيحاً منطلقاً يمضى طهوراً و هو يلقى بالزبد ، فآمنت و سلمت وتوحدت وامتزجت امتزاج تعارف وتراحم .

التقى الأول و الآخر ، وتآخى السابق واللاحق ، وانصفت الحقيقة التى ظلمها الناس وترقبتها الأجيال بعد ظلم وإظلام ، والتمستها فى أصالتها وكمالها فالتقت هى و الاسلام .

و نود أن نقف بهذه المناسبة عند قول الله تبارك و تعالى : (إن الدين عند الله الاسلام) (١)

و أن ندرك ما للتأكيد من مغزى فى هذا المقام انصافا للحقيقة التى ظلمتها الأهواء و تجرأ عليها المفترون .

عند الله : و هو المعول عليه إذ نسبة الدين إلى الله بهذا التأكيد تمنح الدين نفسه روح الصدق و الحق و العدل و التقبل ، و هى تخصص الحقيقة بعد أن التوت بها أهواء وقامت باسمها شيع وأحزاب ، ونسجت لها أسماء و ألقاب ، كل فريق يدعى الصدق و يتهم الآخر ، أين الحقيقة إذن ؟ و مع من تكون ؟

يقطع الحق جل و علا أن الحقيقة من جميع جهاتها و مسمياتها تنحصر فى الاسلام أولا و آخراً من بداية الخلق إلى نهايته : (إن الدين عند الله الاسلام) (٢)

فما عرفت السماء لها نبياً و اعترفت إلا لمن نادى فى يقين و ثقة و رشد : (اعبدوا الله مالكم من إله غيره) دعوة إلى الله الواحد الأحد من لدن آدم تتابع عليها الأنبياء و المرسلون .

ظلمتها أهواء فاجرة فأساءت إلى جوهرها و تاهت بالناس فى أدوية العمى والضلال ، وفرقت بين الداعين إلى الواحد وتشيعت ظلماً لأحدهم

(1) سورة آل عمران : من الآية 19 (2) أيضاً

دون الآخر مع أنهم جميعاً يبرؤن إلى الله من هذا الهوى الكذوب و الضلال البعيد .

إن الأشخاص ماضون و الحقيقة باقية ، و هى لم تسم فى يوم من الأيام باسم شخص من الأشخاص بل سميت باسم معنى تنشده الانسانية دائماً و ترجوه ، تنشد السلام و الأمن ، و هو الاسلام ، و ما دونه إفك و ظلام .

أن محمداً ﷺ كرم الأنبياء جميعاً ، و طلب الايمان بهم جميعاً و عد الايمان بربهم أصلا فى رسالته ، و التفريق بينهم انكاراً لدعوته « لا نفرق بين أحد من رسله » (١)

و كان من فضل الله على الانسانية أن يضمن لهذا الكتاب الذى ضم الاعتراف بالأنبياء جميعاً ، الحفظ و البقاء . و هو يسجل الصفحات البيضاء لهم ، و يضعهم فى موضعهم إذ يرد ما افترت الأهواء عليهم ، وكان بهذا يقول للانسانية تلك هى الحقيقة الماضية على يد الداعين إليها و هذه هى الحقيقة الباقية فى كتاب من عند الله : « لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه » (٢)

قالت السماء كلمتها ، و أفضت للانسانية آخراً بحقيقتها من بدايتها إلى نهايتها ، و ختمت بمحمد ﷺ هذه الحقيقة ، و أجرت على لسانه كل إنصاف و تقدير لأصحابها و الداعين إليها . وحمله أمانة الدعوة إليها و الذود عنها و التضحية فى سبيلها .

نعود مرة أخرى فنقول : إن الاسلام ليس دخيلا على الكون

(1) سورة البقرة : من الآية 285 (2) سورة فصلت : من الآية 42

و لا غريباً على فطرة الانسان ، لذا فان قوى الانسان المختلفة من فكرية و وجدانية و إرادية تجد كمالها و بواعثها من الدين ، كما تجد صيانتها و رعايتها و حفظها .

(فالتدين - ولاسيما فى أديان التوحيد والخلود - كما يقول الدكتور محمد عبد الله دراز : عنصر ضرورى لتكميل القوة الفطرية فى الانسانية ، فيه وحده يجد العقل ما يشبع نهمته و من دونه لايحقق مطامحه العليا .

ثم هو فوق ذلك عنصر ضرورى لتكميل قوة الوجدان ، فالعواطف النبيلة من الحب و الشوق و الشكر ، و التواضع والحياء ، والأمل وغيرها إذا لم تجد ضالتها المنشودة فى الأشياء و فى الناس ، و إذا جفت ينابيعها فى هذا العالم المتبدل المتغير ، وجدت فى موضوع الدين مجالا تدرك غايته و منهلا لا ينفد معينه ، وأخيراً هو عنصر ضرورى لتكميل قوة الارادة بمدها بأعظم البواعث و الدوافع ، ويدركها بأكبر وسائل المقاومة لعوامل اليأس و القنوط ، و هكذا نجد الفكرة الدينية تعبر عن حاجات النفس الانسانية فى مختلف ملكاتها و مظاهرها ، حتى إنه كما صح أن يعرف الانسان بأنه (حيوان مفكر) أو أنه (حيوان مدنى بطبعه) ليسوغ لنا كذلك أن نعرفه بأنه « حيوان متدين بطبعه » (١)

فالاسلام إذن كدين خالد جمع خصائص النبوات كلها يلتقى مع فطرة الانسان ، و قد لازمه من بدايته من أول إنسان هبط إلى الأرض (قلنا اهبطوا منها جميعاً فاما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم و لا هم يحزنون) (٢) ذلك هدى الله الذى لم ينقطع عن الخلق

(1) الدين - للدكتور محمد عبد الله دارز (2) سورة ق : من الآية 6 الى 9

قط ، تأتى به رسل الله تباعا وتحمله صفحة الكون فى آيات تبصر وتذكر .

والكون هو الساحة الكبرى التى تفد عليها الأجيال فترى من آيات الله و من سره فى خلقه ما يعصم يقينها و يزيد إيمانها و يهذب سلوكها و ينمى روابطها : (أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها و زيناها و ما لها من فروج ، و الأرض مددناها و ألقينا فيها رواسى و أنبتنا فيها من كل زوج بهيج ، تبصرة و ذكرى لكل عبد منيب) (١)

فأنت ترى أن ساحة الكون مملوءة بالمواعظ والعبر ، آخذة بالألباب لا ينقضى عجب المتأمل فيها ، و فطرة الاسلام لا تجعل من الايمان شيئاً يعزل الانسان عن واقع الحياة أو يصرفه عن ملاذها أو يحجبه عن آياتها ، و إنما تجعل من الايمان انبعاثاً للفكر و حياة للوجدان و مضاء للعزيمة ، كما تجعل منه سبباً للعمل المتصل فى غير يأس أو قنوط ، لاتفرقه بين دين و دنيا ، الكل فى الاسلام دين مادام مرتبطاً بالايمان و اليقين : « من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى و هو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة و لنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » (٢)

(1) سورة البقرة من الآية 38
(2) سورة النحل من الآية 97

من مذكرات الدعوة

(١٢)

اسبوعان فى تركيا الاسلامية الحبيبة

سماحة الأستاذ السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى
تعريب : سعيد الأعظمى الندوى

إلى قبر جلال الدين الرومى :

توجهت من هنا إلى قبر مولانا جلال الدين الرومى ، و لما وصلت إلى باب المقبرة صادفت عليه لوحة تشير إلى أن عمارة المقبرة و الجامع تحولت إلى متحف ، و ذلك لأن الكماليين لا يقيمون اعتباراً لمثل هذه الأشياء ، و دخلت الباب فاذا بكل ما كتب و ألف عن الرومى باللغات التركية و الفارسية و الانجليزية و الفرنسية وجدته مزيناً كأثر تاريخى ، و لكن مع الأسف ما وجدت فى كل ذلك ما يمثل الهند إلا كتاباً صغيراً نشر حول حياة الرومى عن مكتبة « فيروز سنس » بلاهور ، على أن للهند أكبر نصيب فى هذا المجال قد لا يكون لأى بلد إسلامى آخر ، غير أننى ما رأيت فى هذا المتحف شرح المثنوى لمولانا بحر العلوم و لا للشيخ التهانوى ، و لا كتاب « حياة مولانا روم » للعلامة شبلى النعمانى و لا « مرآة المثنوى » للقاضى تلمذ حسين.

و تقدمت إلى الأمام فسعدت بزيارة إمام العارفين مولانا جلال الدين الرومى الذى قال عنه الشاعر محمد اقبال ما معناه :

« إن العارف الرومى و الامام الروحى ذا القلب الكبير والفكر المستنير أمير قافلة الحب و الشوق و الايمان و الحنان »

وجلست عنده برهة أستعيد ذكريات التاريخ الماضى وأتذكر تقلبات

الزمان ، فتارة كنت أقرأ أبياته ، و أحياناً أنظر ماحوله فأجد كل شئ قد تغير ، أما مديرية الآثار التاريخية القديمة فقد جمعت حوله ركاما من التحائف و العجائب و الآثار ، يستلفت نظر كل زائر إليه ، و لكننى لم أجد ميلا إلى أى شئ مثل ما وجدته نحو كومة هذا التراب ، التى تكمن فى طيها كنزاً ثميناً من العلم و الحكمة والشوق والحب ، لقد كنت أكرر نظرى إليها و أقرأ هذا البيت الذى معناه :

« ما أنجبت أرض العجم رومياً جديداً بعده مع أنها لا تزال على ما كانت عليه أولا »

و قد زرت بجوار قبره قبور والده سلطان بهاءالدين ولد ، وولده الكبير سلطان ولد ، و بعض أولاده و أحفاده و خلفائه ، و يتصل بها الجامع و الزاوية ، و لكن الآن قد تحول كل شئ إلى متحف لا يسمح فيه بالصلاة .

تذكار للعهد القديم :

و لما خرجت من المتحف أشار دليلى ورفيقى فى هذه الجولة إلى حجرة ، و قال يسكن فيها أحد المعمرين من خدم هذه الزاوية اسمه محمد ودا فلنزره بهذه المناسبة ، و دخلت الحجرة فاذا بشيخ يشتعل شيباً كان يتغدى جالساً ، وأمامه خادم لابساً قبعة كان يطعمه، فلما رآنى و علم أننى من الهند اغرورقت عيناه بالدموع ، و أنشد بيتاً كان يكرره ، معناه :

« أريد كبدا مقروحة مقطعة من ألم الفراق . لكى أشرح ألم الحب و الشوق »

و كان البيت يمثل الحال الحاضرة فتأثرت به ، و لا أدرى كيف

رضيت مديرية الآثار القديمة باقامة هذا الشيخ فى حدود المتحف ، ولعلها رأته أيضاً أثراً تاريخياً من بين الآثار الأخرى .

إلى دائرة الآثار القديمة : وأتيت إلى دائرة الآثار القديمة ، فوجدت شاباً تركياً يعلوه سيما الوقار و الأدب يشتغل بالعمل فيها ، فلما علم أننى من الهند قال لى : هل يوجد فى الهند شاعر يقلد أسلوب الرومى ويتبعه فى الشعر ، فقلت ربما لا يوجد فى الوقت الحاضر أحد ، ثم سألنى عن عالم يمكن معه المراسلة حول جلال الدين الرومى ، فسجلت له عنوان الأستاذ عبد الماجد الدريابادى ، ثم استلفت نظره إلى أن مكتبة المتحف تنقصها آثار المثنوى و ما كتب حوله ، و قلت له إن كتاب « مرآة المثنوى » ليتفرد بأسلوبه بين جميع ما كتب حول المثنوى ، فلابد من أن يوجد فى هذه المكتبة ، فسجل اسمه و قال إننى أحاول إحضاره عن طريق السفارة التركية .

آثار العهد السلجوقى : و خرجت من الدائرة فزرت آثاراً عدة للعهد السلجوقى ، و السلاجقة هم سلف العثمانيين الذين حكموا هذه الرقعة بشوكة بالغة ، و كان الرومى قد جاء فى عهدهم ، أما هذه الآثار فشهادة على عظمتهم و مدنية عصرهم ، و يوجد من بين عمارات هذا العهد التى تحولت الآن إلى متحف ، دار حديث ، و دار تفسير و دار فقه ، وكلها مدرسة مستقلة قامت بتدريس المادة المختصة بها ، شأن الكليات فى هذا العصر و كأنها تقول بلسان حالها :

« فى كل زخرفة من زخارف الجدران البالية آثار ظاهرة لصناديد العجم »

و زرت خلال ذلك جامع السلطان علاء الدين السلجوقى الذى

لا يزال جامع البلد ، و هو شامخ البنيان ، واسع الأرجاء ، محاريبه فى غاية من الجمال ، و الحجارة التى استعملت فى البناء جيدة ، و زخرفته بديعة تبعث على الاستغراب ، ويختلف طراز عمارته عن طراز عمارة العهد العثمانى ، إن هذا الجامع جميل جداً لا يكاد يملأ منه الناظر عينه .

الشيخ صدر الدين القونوى : و لما فرغت من زيارة الجامع أتيت إلى قبر الشيخ صدر الدين القونوى ، و هو من أشهر خلفاء الشيخ الأكبر و حامل نسبته ، و صليت الظهر فى جامعه ، و أعجبنى قول المؤذن خلال التسبيحات « على نعمة الاسلام دائماً الحمد لله » ، و أرجو الله أن يوفق الأتراك للحمد على نعمة الاسلام على الدوام ، الاسلام الذى أكرمهم فى الدين والدنيا وأخرجهم من ظلمات أواسط آسيا إلى منصب الامامة ، و ما أحسن قول الشاعر الذى معناه :

« إن خسرو لم يرتفع إلى المنزلة العليا إلا بدخوله فى حماك رقيقاً ، فان العبد الذى يشتريه الملك يعتبر أمير الولاية »

جامع قراداى : زرت جامع قراداى و مررت على قبور وزراء هذه الأسرة أقرأ عليهم الفاتحة ، و أتذكر تقلبات الزمان التى لم تبق على ملك الملوك ووزارة الوزراء ، وأنشدت قول الشاعر محمداقبال الذى معناه :

« كيف امحت آثار العظماء والكبراء ؟ و كم من أمة أتى عليها الدهر .

و حينما انتهيت من الزيارات و المشاهدات أتيت إلى مطعم حيث تكرم رفيقى فى الجولة باطعام طعام محلى خالص ، و يبدو ان استعمال اللبن محل الماء عام هنا كما فى البنجاب ، و هم يسمون اللبن « آيرن »

مدنية قونية : و خرجت أنا و رفيقى بعد صلاة العصر للتفرج على

البلد ، و البلد بهج للغاية ، يمتاز فى تركيا كلها فى التدين و الاسلامية ، أما أهله فمتدينون ، يحملون من دماثة الخلق و كرم النفس و الحمية الدينية مقداراً كبيراً ، ولقد شعرت فى هذا البلد بنوع من الهدوء والطمأنينة والميل إليه ، و لم ينشرح قلبى فى أى مكان مثلما انشرح فى هذه المدينة ، يناهز عدد سكانها مأة ألف ، و المدينة جميلة و أنيقة و هادئة .

وعرجت على دكان شيخ متدين فى السوق ، فعرض على نسخة من المثنوى فيه شرح الأبيات باللغة التركية ، فتمتعت بأبيات من شعر المثنوى و بينما كنت أقرأ الأبيات إذ وقع بصرى على بيت كان يناسب الحال، و لعل الناس يتفاءلون بمثل هذا الأسلوب من ديوان الحافظ و أمثاله .

فى منزل الدكتور على كمال : و خرجت من عند الشيخ فأتيت إلى جامع صليت فيه المغرب ، و قد صادفنى الدكتور على كمال بعد الصلاة، وسألنى أن أذهب معه إلى منزله حيث اجتمعت بوالده وبعض الاخوان، أما على كمال فانه يمثل الأدب الجميل و الخلق الكريم ، و هو شاب صالح دمث الخلق ، بسام الوجه ، حلو اللسان متواضع للغاية ، و أسرته كلها جد متدينة صالحة ، و قد شعرت فى نفسى بانسجام معه و انبسط عنده قلبى ، و قد صلى بنا العشاء فى جامعه ، ثم استاذنته و رجعت إلى مقرى و لا أنسى بهذه المناسبة ما تجشمه الحاج أحمد پرلغ دليلى فى هذه الجولة، فانه قضى معى النهار كله فى الزيارات و التجوال .

مغادرة قونية : الأربعاء ١٤ من ذى القعدة ١٣٧٥هـ المصادف ٢٤ يونيو ١٩٥٦ م - أغادر اليوم هذه المدينة الحبيبة ، و كأنى أغادر اليوم تركيا الحبيبة ، ولكن لا أجد نفسى راضية بمغادرة هذا البلد الذى يتفرد

بهدوئه و مناخه ، وجوه و سكانه ، و بهجته من كل ناحية ، و لولا وصولى إلى دمشق للحضور فى المؤتمر الاسلامى الذى سينعقد من ٢٦ يونيو لأطلت اقامتى فى قونية و استمتعت منها أكثر من هذا .

مناظر الطريق : ركبت على القطار فى الساعة التاسعة و النصف صباحا ، و بقى السفر غير ممتع و المنطقة التى كنت أمر عليها جافة غير خصبة، ولكن ذلك لم يدم إلا عدة ساعات ثم ابتدأت مناظر جميلة ومر القطار بواجهة جبال شامخة لا تزال قممها متغطية بالثلج إلى الآن و هى سلسلة من جبال طوروس ، و قد مررت عليها عند قدومى إلى استنبول ولكن كان ذلك فى الليل فلم أقدر مشاهدتها ، و يبدو لى أن هذه المناظر جد جميلة ، فالجبال الخضراء ذات القمم العالية تقع فى جانبى الطريق ، و الأودية التى خلعت عليها يد الصانع ملابس خضراء و العيون الجبلية المتفجرة فى مكان دون مكان تسر الناظرين .

المنطقة الفقيرة : كلما يقف القطار على المحطات يهرع إليها أولاد القرى المجاورة بالخيار و يبيعونه حتى إذا لم تيسير لهم شئ آخر جاؤا بالماء ، و الفقر عام مع الأسف فى كل مكان سوى المدن الكبرى ، على أن الوضع الاقتصادى فى تركيا غير جيد أما القرى فقد وجدتها فقيرة فى كل بلد إسلامى ، إن هؤلاء الأولاد و إن كانوا فقراء ولكنهم نظيفون و متأدبون بالعكس من أولاد القرى فى الهند .

و لا يزال القطار يمر بسرعة من خلال الأنفاق الطويلة ، و إننى إذ أكتب هذه السطور يجرى القطار فى نفق منذ زمن ، و لكن المناظر الجميلة تتغلب و تقول بلسان الحال : إن الكتابة فى مثل هذا الوقت والانكفاف عن ملأ العيون بهجتى تدل على بلادة الذوق والحس

فدع القلم و أقبل على ، و سيصل القطار إلى أطنه بعد ساعة أو يزيد ، حيث تنتهى رحلة القطار ، و يواصل السفر بالسيارة إلى اسكندرونه و منها إلى حلب .

أطـــنه : وصلت إلى أطـــنة و الشمس مائلة للغروب ، فصليت المغرب ، و لقينى بعد برهه وانتظار قليل صديق الأخ زين العابدين الذى كان قد دلنى عليه ، و كتب لى اسمه ، فأخبرنى أنه لاتوجد الآن سيارة تسافر نحو اسكندرونة فلابد من المبيت هنا ومواصلة السفر إلى اسكندرنه صباحا ، و يبدو أن اطنه بلد واسع كبير يتجاوز سكانه مأة ألف نسمة وهومركز صناعى كبير فى تركيا ، و يعد مطار البلد أهم مطار فى الشرق الأوسط من الناحية العسكرية .

من اسكندرونه إلى حلب : بت الليلة فى فندق أنقره پالاس ، و غادرت أطنه نحو اسكندرونة فى الصباح، واستغرقت المسافة إلى اسكندرونه ساعتين و ربع ، ثم واصلت السفر بعد قليل إلى حلب بالسيارة والمسافة بينهما ٢٣٥ كيلومتراً ولكنها تستغرق وقتاً طويلا لأجل الثغور ومراكز الجمركية فى الطريق ، و يتمكن المسافر فى اسكندرونه من التمتع بمناظر البحر والجبال الخضراء ، و استمعت فى الطريق بمناظر الطبيعة الجميلة وبدا لى كأننى فى « منصورى » و « نيتى تال » فقد مررت بطرق فى الجبال والمنعرجات و الخصوبة و المناظر الخضراء التى بعثت السرور والبهجة فى النفس . و كان الهواء عليلا لطيفاً ، و بينما أنا كذلك إذ واجهتنى المنطقة الصحراوية التى تمتد إلى سوريا ، وقد كانت السيارة عبر الحدود التركية فى نحو الساعة الثانية عشرة و دخلت فى حدود سوريا .

و لله الأمر من قبل و من بعد !

الربانيـة : أصل الدين و سمـة المسلمين

رغم أنف « التقدميين » و « المتفرنجين »

والاشتراكين الثوريين

(٢)

فضيلة الشيخ المحدث حبيب الرحمن الاعظمى

درجات الزهد و أقسامه : و لتمام النفع نريد أن ننقل هنا فصلين من كلام الجوزى باختصار ابن قدامة ، و أصله للغزالى كما قدمنا ، قال ابن قدامة :

و من الناس من يزهد فى الدنيا و هو لها مشـــتهٍ ، لكنه يجاهد نفسه ، و هذا يسمى المتزهد ، و هو مبدأ الزهد .

الدرجة الثانية : أن يزهد فيها طوعا لا يكلف نفسه ذلك ، لكنه يرى زهده و يلتفت إليه ، فيكاد يعجب بنفسه ، و يرى أنه قد ترك شيئاً له قدر لما هو أعظم قدراً منه ، كما يترك درهما لأخذ درهمين ، و هذا أيضاً نقصان .

الدرجة الثالثة : و هى العليا أن يزهد طوعا ، و يزهد فى زهده ، فلا يرى أنه ترك شيئاً ، لأنه عرف أن الدنيا ليست بشئ ، فيكون كمن ترك خرقة ، و أخذ جوهرة ، و لا يرى ذلك معاوضة ، فان الدنيا بالاضافة إلى نعيم الآخرة ، أحسن من خرقة بالاضافة إلى جوهرة ، فهذا هو الكمال فى الزهد .

و أما الزهد بالاضافة إلى المرغوب فيه ، فعلى ثلاث درجات :

أحدها : الزهد للنجاة من العذاب ، و الحساب ، و الأهوال التى بين يدى الآدمى ، و هذا زهد الخائفين .

الدرجة الثانية : الزهد للرغبة فى الثواب ، و النعيم الموعود به ، و هذا زهد الراجين ، فان هؤلاء تركوا نعيما لنعيم .

الدرجة الثالثة : و هى العليا ، و هو أن لا يزهد فى الدنيا للتخلص من الآلام ، و لا للرغبة فى نيل اللذات ، بل لطلب لقاء الله تعالى ، و هذا زهد المحسنين العارفين ، فان لذة النظر إلى الله سبحانه و تعالى بالاضافة إلى لذات الجنة كلذة ملك الدنيا و الاستيلاء عليها بالاضافة إلى لذة الاستيلاء على عصفور و اللعب به .

بيان الزهد فيما هو من ضروريات الحياة !

قال ابن قدامة : و الضروريات المهمات سبعة أشياء : المطعم ، و الملبس ، و المسكن ، و أثاثه ، و المنكح ، و المال ، و الجاه .

فأما الأول : و هو المطعم ، فاعلم أن همة الزاهد منه ما يدفع به الجوع ، مما يوافق بدنه من غير قصد الالتذاذ ، و فى الحديث : « إن عباد الله ليسوا بالمتنعمين » ، و قالت عائشة رضى الله عنها لعروة : كان يمر بنا هلال و هلال ، ما يوقد فى بيت رسول الله ﷺ نار قال قلت : يا خالة ! فعلى أى شئ كنتم تعيشون ؟ قالت : على الأسودين ، الماء و التمر ، و الأحاديث فى ذلك كثيرة مشهورة .

و قد كان كثير من الزهاد يخشنون المطعم . و كان فيهم من لا يطيق ذلك . فكان الثورى حسن المطعم و ربما حمل فى سفرته

اللحم المشوى و الفالوذج .

و فى الجملة ، فالزاهد يقصد ما يصلح به بدنه ، و لا يزيد فى التنعم إلا أن الأبدان تختلف ، فمنها ما لا يحتمل التخشن .

و قد يدخر بعض الناس الزاد الحلال يقوته ، فلا يخرجه ذلك من الزهد ، فقد كان السبتى يعمل من السبت إلى السبت و يقوته .

و ورث داؤد الطائى عشرين ديناراً فأنفقها فى عشرين سنة .

الثانى : الملبس فالزاهد يقتصر فيه على ما يدفع الحر و البرد ، و يستر العورة ، و لا بأس أن يكون فيه نوع تجمل ، لئلا يخرجه التقشف إلى الشهرة ، و كان أكثر لباس السلف خشنا ، فصار لبس الخشن شهرة .

و قد روى عن أبى بردة قال : أخرجت إلينا عائشة رضى الله عنها كساء ملبداً و إزاراً غليظاً ، و قالت : قبض رسول الله ﷺ فى هذين ، أخرجاه فى « الصحيحين » .

و عن الحسن قال : خطب عمر رضى الله عنه و هو خليفة ، وعليه إزار فيه إثنتا عشرة رقعة .

الثالث : المسكن ، و للزهاد فيه ثلاث درجات :

أعلاها : أن لا يطلب موضعاً خاصاً لنفسه ، بل يقنع بزوايا المساجد ، كأصحاب الصفة .

و أوسطها : أن يطلب موضعاً خاصاً لنفسه ، مثل كوخ من سعف أو خص و ما أشبه ذلك .

و أدناها : أن يطلب حجرة مبنية ، و متى طلب السعة ، و علو السقف ، فقد جاز حد الزهد فى المسكن ، و قد توفى رسول الله ﷺ

و لم يضع لبنة على لبنة .

قال الحسن : كنت إذ دخلت بيوت رسول الله ﷺ نلت السقف،

و فى الحديث : أن الرجل يؤجر فى نفقته كلها إلا فى التراب .

و قال ابراهيم النخعى رحمه الله : إذا كان البنيان كفافا ، فلا أجر و لا وزر .

و فى الجملة : إن كل ما يراد للضرورة فلاينبغى أن يجاوز حد الزهد ،

الرابع أثاث البيت ، فينبغى للزاهد أن يقتصر فيه على الخزف ، و يستعمل الاناء الواحد فى مقاصده ، فيأكل فى القصعة ، ويشرب فيها ومن خرج إلى كثرة العدد فى الآلة ، أو فى نفاسة الجنس خرج عن الزهد .

و لينظر إلى سيرة رسول الله ﷺ ففى « صحيح مسلم » من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : دخلت على رسول الله ﷺ وهو مضطجع على حصير . و إذا الحصير قد أثر فى جنبه ، فنظرت فى خزانة رسول الله ﷺ ، فاذا أنا بقبضة من شعير ، نحو الصاع ، و فى رواية البخارى : فو الله ما رأيت شيئاً يرد البصر ، و الحديث مشهور فى « صحيح مسلم »

و قال على رضى الله عنه : تزوجت فاطمة و مالى و لها فراش إلا جلد كبش كنانتام عليه بالليل ، ونعلف عليه الناضح بالنهار ، و مالى خادم غيرها ، و لقد كانت تعجن و إن قبضتها لتضرب حرف الجفنة من الجهد الذى بها

و دخل رجل على أبى ذر رضى الله عنه ، فجعل يقلب بصره فى بيته ، فقال : يا أبا ذر ! ما أرى فى بيتك متاعا ، و لا أثاثاً ، فقال :

إن لنا بيتاً نوجه إليه صالح متاعنا فقال : إنه لابد لك من متاع مادمت ههنا ، فقال : إن صاحب المنزل لا يدعنا فيه .

الخامس : المنكح لا معنى للزهد فى أصل النكاح و لا فى كثرته .

قال سهل بن عبد الله : حبب إلى رسول الله ﷺ النساء .

و كان على رضى الله عنه من أزهد الصحابة . و كان له أربع نسوة و بضع عشرة سرية

و كان أبو سليمان الدارانى يقول : كل ما شغلك عن الله من أهل و ولد ، فهو مشؤوم .

و كشف الغطاء فى هذا أن نقول : من غلبت عليه شهوته وخاف على نفسه ، تعين عليه النكاح ، فأما من لا يخاف ، فهل النكاح فى حقه أفضل أو التعبد ؟ فيه اختلاف بين العلماء ، و الناس مختلفون فيه ، منهم من يقصد النكاح لطلب النسل و يمكنه الكسب الحلال للعائلة ، فلا يقدح ذلك فى دينه ، و لا يتشتت قلبه ، بل يجمع النكاح همه ويكف بصره ، و يرد فكره ، فهذا غاية فى الفضيلة ، و عليه يحمل حال رسول الله ﷺ ، وحال على رضى الله عنه ، و من جرى مجراهما ، و لا التفات إلى قول من يرى الزهد بترك الالتذاذ بالنكاح ، فان ذلك يقع ضمناً و تبعاً للمقصود

و قد كان بعض السلف يختار المرأة الدون على الجميلة ، و ذلك محمول على أن تلك تكون إلى الدين أميل ، والنفقة عليها أقل ، و الاهتمام بأمرها يسير ، بخلاف المستحسنة فانها تشتت القلب وتشغله ، وتريد زيادة فى النفقة ، و ربما لم يكن .

و قد قال مالك بن دينار : يعمد أحدهم فيتزوج ديباجة الحى فتقول: أزيد مرطا (١) فتمرط دينه .

السادس : المال و هو ضرورى فى المعيشة ، فالزاهد يقتصر منه على ما يدفع به الوقت ، و كان فى الصالحين من يتشاغل بالتجارة ويقصد بها العفاف .

و كان حماد بن سلمة إذا فتح حانوته و كسب حبتين قام .

و كان سعيد بن المسيب يتجر فى الزيت ، و خلف أربعمائة دينار ، و قال : إنما تركتها لأصون بها عرضى و دينى .

السابع : الجاه و لابد للانسان من جاه حتى فى قلب خادمه ، و اشتغال الزاهد بالزهد يمهد له الجاه فى القلوب ، فينبغى أن يحذر من شر ذلك .

و فى الجملة فان الحوائج الضرورية ليست من الدنيا ، و كان كثير من السلف يعرض لهم بالمال الحلال ، فيقولون : لا تأخذه نخاف أن يفسد علينا ديننا (٢) .

المؤلفات فى الزهد

و من أدل الدلائل على أهمية الزهد و مكانته فى الاسلام توفر الكثيرين من أئمة الدين على إفراد هذا الموضوع بالتأليف ، و مواصلة جهودهم فى تدوين ما ورد فى ذلك من الآيات و تفسيراتها و الأحاديث

(١) المرط بكسر الميم : واحد المروط و هى أكسية من صوف أوخز كان يؤتزر بها

(٢) مختصر منهاج القاصدين ص ٣٦٥ إلى ٣٦٩ .

و الآثار و ما إليها ، و حجز مكان مخصوص لأبواب الزهد و الرقائق ، فى جوامعهم المصنفة فى الحديث ، كالصحيحين ، و الجامع لعبد الرزاق(١) و المصنف لابن أبى شيبة (٢) و الجامع الترمذى ، و السنن الكبرى للنسائى ، والسنن لابن ماجة القزوينى ، والمستدرك للحاكم وغير ذلك .

فممن أفرده بالتاليف :

(١) الامام القدوة المعافى بن عمران الموصلى المتوفى سنة ١٨٥ قال الذهبى : صنف المعافى (فى) السنن و الزهد ، و الأدب ، و الفتن و غير ذلك (٣) .

(٢) و المحدث الحافظ محمد بن فضيل بن غزوان الكوفى المتوفى سنة ١٩٥ (٤) .

(٣) و الامام وكيع بن الجراح من شيوخ الامام أحمد بن حنبل المتوفى سنة ١٩٧ .

(٤) والحافظ أسد بن موسى المعروف بأسد السنة المتوفى سنة ٢١٣

(٥) والامام أحمد بن محمد بن حنبل المتوفى سنة ٢٤١ وهو مطبوع .

(٦) و الحافظ الزاهد هناد بن السرى من أصحاب وكيع ، المتوفى سنة ٢٤٣

(٧) و أحمد بن حرب بن عبد الله أبو عبد الله الزاهد ، المتوفى سنة ٢٣٤ .

(١) أنظر باب زهد الأنبياء وباب زهد الصحابة وغيرهما -

(٢) أنظر المجلد الخامس الرقم: ١٢١ من نسخة المكتبة السعيدية بحيدرآباد-

(3) تذكرة الحفاظ (265/1) (4) أيضاً (29/1)

(٨) و الامام أبو داؤد سليمان بن الأشعث السجستانى ، صاحب السنن ، المتوفى سنة ٢٧٥ و لابنه عبد الله زوائد على كتابه

(٩) و أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد ، المعروف بابن أبى الدنيا المتوفى سنة ٢٨١ و نسخة من كتابه فى مكتبة أحمد الثالث رقم : ٥٩١، عدد أوراقه : ١٢٦ كما فى فهرس معهد المخطوطات .

(١٠) و الحافظ العالم ابراهيم بن الجنيد ، نزيل سامرا المتوفى فى حدود الستين و مائتين ، قال الخطيب : له كتب فى الزهد و الرقائق (١) .

(١١) و الحافظ العلامة القاضى أبو أحمد محمد بن أحمد العسال الاصبهانى المتوفى سنة ٣٤٩ له كتاب الرقائق (٢) .

(١٢) والآجرى كما فى الكشف و هو عندى محمد بن حسين أبوبكر الآجرى المتوفى سنة ٣٦٠ .

(١٣) والحافظ المفيد أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان المعروف بابن شاهين المتوفى سنة ٣٨٥ له كتاب الزهد مأة جزء (٣)

(١٤) و الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقى صاحب السنن المشهورة المتوفى سنة ٤٥٨ وقفت على نسخة من كتاب الزهد الكبير له فى المكتبة الآصفية بحيدر آباد . و هى فى ٢٤٧ صفحة بالقطع الكبير .

و نسخة أخرى فى مكتبة شيخ الاسلام عارف حكمت بـ بالمدينة المنورة كتبت فى سنة ٦٢٦ .

و له كتاب الزهد الصغير أيضاً كما فى الرسالة المستطرفة .

(1) تذكرة الحفاظ (149/2) (2) أيضاً (98/3)
(3) أيضاً (184/3)

(١٥) و الامام أبو القاسم خلف بن القاسم الأندلسى ابن الدباغ المتوفى سنة ٣٩٣ صنف حديث مالك، وحديث شعبة ، وكتاباً فى الزهد(١)

(١٦) والفقيه أبو أحمد محمد بن أحمد بن شعيب الشعيبى النيسابورى من شيوخ الحاكم ، المتوفى سنة ٣٥٧ له كتاب فى الزهد فى نيف و أربعين جزءاً (٢) .

(١٧) و الحافظ العلامة عبد الحق بن عبد الرحمن الاشبيلى صاحب كتاب الأحكام المتوفى سنة ٥٨١ قال الذهبى : له كتاب فى الرقائق (٣)

كتاب الزهد و الرقائق لابن المبارك

و من أجل ما صنف فى هذا الباب كتاب عبد الله ابن المبارك .

قال ابن تيمية : و الذين جمعوا الأحاديث فى الزهد و الرقائق يذكرون ما روى فى هذا الباب ، و من أجل ما صنف فى ذلك : كتاب الزهد لعبد الله ابن المبارك ، و فيه أحاديث واهية ، و أجود ما صنف فيه : كتاب الزهد للامام أحمد ، لكنه مكتوب على الأسماء ، و زهد ابن المبارك على الأبواب (٤) .

(1) تذكرة الحفاظ (215/3)
(2) الجواهر المضيئة وكشف الظنون وغيرهما
(3) تذكر الحفاظ (140/4)
(4) كشف الظنون (279/2) والرسالة المستطرفة

اقتصادنا في ضوء الإسلام

بحوث

- الاقتصاد الاسلامى صلة بين العبد و الرب وعبادة من العبادات كالصوم و الصلاة ، و تلك هى قيمته الأصلية الموضوعية ، أما ما يتحسن به من الأحوال الاقتصادية و الأوضاع المالية فهى نسبية تنبثق عن هذه الصلة و هذه العبادة .
- إنه لايعتبر الانسان حيواناً «عالماً» شأن الاشتراكية العلمية أو الشيوعية السافرة ، ولايعتبره مخلوقا ملائكياً لايحتاج إلى طعام و شراب و مسكن و ملبس شأن الرهبانية المبتدعة الضالة ، و لا يدعه طاغياً يستأثر بخيرات الأرض دون غيره شأن الرأسمالية المحتكرة الظالمة .
- إنه يعطى كل إنسان - مهما كان - أجر عمله ومهنته وذكائه وابتكاره ، ويفتح لكل مغامر طموح مجال العمل والكسب والتقدم فى حدود الشريعة الواضحة وتحت تأثير الوازع الدينى الشديد و رقابة الضمير ، و الله فضل بعضكم على بعض فى الرزق فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء أفبنعمة الله يجحدون ،

مكانة الاقتصاد الاسلامى

بين النظم الاقتصادية المعاصرة

الأستاذ محمد فاروق النبهان
المدرس بالكليات فى الرياض

١ - إن عالمنا اليوم يمر بأزمة كبيرة تعتبر من أقسى الأزمات التى مرت فى تاريخ الانسانية ، فهى لا تهدد أمة من الأمم ، و لا شعباً من الشعوب و إنما تهدد العالم كله بالفناء و الدمار ، و إن العالم الاسلامى ليس إلا جزءاً من العالم الكبير الذى نعيش فيه ، و على ذلك فاما أن يساهم فى حل تلك الأزمة التى تنتاب العالم كله ، و عندئذ نفتح لهذا العالم طريق النجاة و نأخذ بيدهم إلى طريق الخير والسلام ، و إما أن نكون ضحايا تلك الأزمة و عندئذ نكون فريسة بأيدى الغانمين .

و محور هذه الأزمة هو الصراع القائم بين المعسكرين الكبيرين ، المعسكر الشرقى والمعسكر الغربى اللذين يتنافسان على زعامة العالم ويتصارعان حتى درجة الفناء فى سبيل ذلك ، و نقف نحن اليوم فى موقف المتفرج الذى يتطلع إلى أعدائه و هم يتنافسون عليه ليكون فى النهاية طعما للمنتصرين .

٢ - إن مشكلة العالم - أيها السادة - هى مشكلة اقتصادية فى الدرجة الأولى وقد نشأت هذه المشكلة من وجود حاجات متعددة للافراد

لا تكفى الموارد المحدودة لاشباعها و تحاول اليوم كل من النظم الفردية و النظم الاشتراكية أن تقدم الحل المناسب للقضاء على هذه المشكلة ، فالنظم الفردية تحاول إعطاء الفرد الحرية الكاملة لتحقيق اكبر قدر من المنفعة له ، لأن الفرد فى رأيها هو الغاية من النظام الاقتصادى، وأول من قال بهذا الرأى هو آدم سميث فى انكلترا و الفيزيوقراطيون الطبيعيون فى فرنسا خلال القرن الثامن عشر و كانوا يمنعون الدولة من التدخل فى الشؤون الاقتصادية و يعتمدون فى ذلك على أساس اخلاقى مقتضاه أنه يجب أن يترك الفرد حراً ليتمكن من استعمال جميع قواه الطبيعية، وأساس اقتصادى مقتضاه أن الحرية الفردية تتيح للانسان أن يحقق أكبر قدر من الربح و أساس علمى يعتمد على الأخذ بمبدأ (البقاء للاصلح) .

و قد تعرض هذا الرأى إلى هجوم عنيف من قبل أنصاره و دعاته لأنه أدى إلى التعارض بين مصلحة الفرد و مصلحة الجماعة و أصبحت المصالح الجماعية فريسة لمطامع الأفراد ، و اليوم يثن النظام الفردى فى العالم الغربى أمام مطامع الأفراد التى تظهر بشكل واضح و فاضح فى الاحتكارات العالمية و التكتلات المالية التى تكون على حساب الفرد المستهلك بالاضافة إلى أن تلك البيوت المالية تتحكم فى سياسة العالم الغربى فتسخرها لخدمة المصالح الرأسمالية فى تلك البلاد .

و لو انتقلنا إلى المعسكر الشرقى لوجدنا الشيوعية الملحدة تتربص بالانسانية الشر والدمار والفناء ، وتقوم الشيوعية على أساس الحقد الطبقى والثورة الدموية المحمومة ، و قد كان مؤسس هذه الفكرة كارل ماركس قد عبر عن ذلك الحقد الدفين فى نظريته عن الصراع الطبقى القائم بين

البشر و التى استمدها من الفلسفة الدبالكتيكيه التطورية التى قال بها الفيلسوف الالمانى هيجل فى الربع الأول من القرن التاسع عشر ، و قد دفع ماركس إلى الأخذ بهذه النظرية هو حقده على المجتمع الذى عاش فيه و الذى رفض أن يعتبره إنساناً سوياً لسوء أخلاقه ، و سلاطة لسانه وشذوذ آرائه، ثم قام عدد كبير من دعاة الماركسية بعد التجربة الشيوعية فى روسيا عام ١٩١٧م بانتقاد المذهب الماركسى وانقضوا عليه بالهدم بعد أن خيبت التجربة الماركسية آمالهم و آمال كثير من رواد الاشتراكية فى تحقيق المجتمع الذى كانوا يحلمون به كان ماركس يصور للناس أن الماركسية ستحقق لهم المجتمع المثالى الفاضل الذى سينعمون فيه بالسعادة و الرخاء و لكنهم وجدوا ذلك خدعة و وهما و خيالا .

و يعبر رجال الاقتصاد اليوم عن التقدم الذى أحرزه الاتحاد السوفياتى فيقولون بأن تزوير الحقائق والتلاعب بالاحصاءات ينمو ويزدهر فى الاتحاد السوفياتى إلى جانب الازدهار الاقتصادى، بالاضافة إلى أن هذا التقدم كان على حساب القيم المعنوية و الروحية و لا زال حتى اليوم مستوى الدخل فى روسيا ضعيفاً إذا قيس بمستوى الدخل فى البلاد الأخرى .

٣ - و أمام هذا الفشل الذريع الذى وصلت إليه كل من النظم الرأسمالية و النظم الاشتراكية نقف الآن لنتساءل :

ما هو موقف الاسلام من هذه المشاكل ؟

و هل يستطيع الاقتصاد الاسلامى أن يحقق للبشرية الخير والسعادة و الرفاه فى الوقت الذى عجزت فيه كل من النظم الفردية و الجماعية عن

تحقيق ذلك ؟

هل يستطيع الاسلام أن يقف فى وجه طغيان الفرد حتى لايتعدى على الجماعة ، و فى الوقت ذاته يحفظ للفرد حقه و ماله ؟

٤ - و يحسن بنا أن نعرض لنظرية الحق لارتباطها الوثيق ببحثنا و لأننا نعتبر أن فكرة الحق هى المعيار الذى ننطلق منه لبيان موقف الاسلام من تصرفات الفرد و مدى ما يتقيد به لمصلحة الجماعة وفكرة الحق ، هى السلطة التى يمنحها الشرع للفرد على ماله كحق الانسان فى التصرف بما يملك ، و هنا نتساءل هل يحق للانسان أن يتصرف فى حقه كما يريد ؟

ذهب النظام الفردى : إلى إعطاء المالك سلطة واسعة فى التصرف بماله ، لأن أنصار هذا النظام يرون أن الفرد هو الغاية والهدف من كل تنظيم قانونى ، و أن الفرد يولد متمتعاً بحقوق طبيعية بصفته إنساناً ، وأن تمتعه بهذه الحقوق يعود إلى ما قبل وجود القانون و تقتصر وظيفة القانون على حماية هذه الحقوق و المحافظة عليها وتمكين الأفراد من التمتع بها ، و لذلك فهم يطلقون للافراد حرية كاملة فى التصرف فى حقوقهم بشكل مطلق .

و ذهب النظام الاشتراكى : إلى سلب هذا الحق عن المالك، لأنه لا يجوز للفرد أن يملك إلا ما تمنحه إياه الجماعة باسم القانون ، والجماعة عند دعاة هذا النظام هى هدف كل تنظيم قانونى و لا يجوز للفرد أن يتمسك بحقوق طبيعية مزعومة فى مواجهة الجماعة و هكذا يعتبر القانون عندهم هو أساس الحق ، و قد تزعم الهجوم على فكرة الحق الفقيه الفرنسى

(ليون ديجى) فأنكر فكرة الحقوق الطبيعية لمجافاتها للواقع المادى ، و قد ردوا على نظرية (ديجى) بأن تلك الحقوق هى من طبيعة أفراد الذاتية بما تتضمنه من حق الحياة و الحركة ، و بما لها من قدرات سابقة على فكرة الحق بالمفهوم القانونى ، أما الاسلام فانه يقف موقفاً وسطاً بين النظامين الفردى و الاشتراكى ، و فى الوقت الذى يقر فيه بفكرة الحق فانه يقيد هذا الحق بقيود كثيرة . فالاسلام يقر بفكرة الحق ويمنح الأفراد حقوقا فردية كحق الملكية و حق التصرف وغير ذلك، حتى يشعر الانسان بقيمته فى الحياة و مسؤوليته عما أسند إليه من ملكية خاصة و هذا يؤيد المذهب الفردى غير أنه يختلف عنه حينما يقيد تلك الحقوق بقيود كثيرة تجعل الحق فى الاسلام ذا صفة مزدوجة ليس بالحق الفردى و لا بالحق الجماعى ، فالاسلام إذن يؤمن بالفرد فيمنحه الحق و يرعى مصالح الجماعة فيقيد هذا الحق .

٥ - ويرتكز تقييد الحق فى التشريع الاسلامى على بعض الأسس .

١ - الحقوق معللة بمصالح الناس ، و المقصد الرئيسى الذى يبتغيه الشارع فى تشريعه الاحكام هو تحقيق مصالح الناس بتوفير الأشياء الضرورية و الحاجية والتحسينية ، و على هذا فيجب أن يكون قصد المكلف فى استعماله لحقه هو تحقيق مقصد الشريعة . فان ناقض تصرفه هذا المقصد كان هذا التصرف باطلا بالاضافة إلى أنه يجب ألا يكون العمل الذى يقوم به المكلف مناقضاً من حيث المآل الاصل الذى قامت عليه الشريعة من جلب المصالح و درء المفاسد .

٢ - الأساس الثانى الذى يقوم عليه تقييد الحق فى الفقه الاسلامى هو تقديم

المصالح العامة على المصالح الخاصة، وهذا المبدأ يجعل الفرد مرتبطاً بمجتمعه ارتباطاً وثيقاً، ويمكن أن نسمى هذا المبدأ بمبدأ (التضامن الاجتماعى) ومن هذا المبدأ يتفرع جواز الاستهلاك الجبرى لأجل المصالح العامة، وقد أجاز الفقهاء استهلاك الأرض المجاورة للمسجد جبراً عن أصحابها إذاضاق المسجد بالناس و أجازوا ذلك أيضاً بالنسبة للطرق العامة بالقيمة التى يساويهـا العقار المستهلك و من هذا أيضاً حمى بعض الأراضى لمصلحة عامة المسلمين و قد حمى رسول الله ﷺ أرض البقيع و حمى عمر بن الخطاب أرض الربذة و اتفق الفقهاء على جواز بيع الطعام المحتكر جبراً عن صاحبه عند الحاجة إليه ، وجواز التسعير عندما يتمادى البائعون فى غبن المشترى ، وجواز الحجر على المفتى الماجن والطبيب الجاهل حفظاً على دين الناس و صحتهم ، و نص الفقهاء أيضاً على جواز الحجر على السفيه حرصاً على مصلحته ومصلحة دائنيه و مصلحة الأمة، حتى لا يؤدى سفهه إلى إنفاق جميع ماله .

ثالثاً : الأساس الثالث الذى يقوم عليه تقييد الحق هو مبدأ الخلافة الانسانية فى الأرض ، فالانسان هو خليفة الله فى أرضه و قد منحه الله حق التصرف بما فيها و سخر كل شئ لخدمته، قال تعالى : «وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة » و قال أيضاً : «وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه »

و فكرة الخلافة تعطى الانسان الحق، غير أنها تقيده لأن المستخلف لا يملك إلا أن ينفذ ارادة من استخلفه فهو وكيل و وكالته مقيدة ضمن الحدود التى منحه إياها الشريعة، وعلى هذا فلا يحق للانسان أن يتصرف

بحقه بما يخالف ارادة الله المستخلف، فلو فعل ذلك اعتبر خارجا عن حدود حقـه .

رابعاً : الأساس الرابع الذى يقوم عليه تقييد الحق فى الشريعـة الاسلامية هو المصدر الالهى للحقوق . فالحق فى التشريع الاسلامى منحة من الله منحها لعباده، يقول الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة : أستاذ الشريعة الاسلامية فى كلية الحقوق بجامعة القاهرة فى محاضرته التى ألقاها فى أسبوع الفقه الاسلامى المنعقد فى دمشق عام ١٩٦١ م عن التعسف فى استعمال الحق فى الفقه الاسلامى، قال ما يلى :

(الحقوق فى الشرع الاسلامى تصدر عن الشارع فالعقود لا تنتج آثارها إلا بحكم الشارع و هى فى إتيانها لهذه الآثار أسباب جعلـية أى جعلت أسباباً لآثارها بحكم الشارع، وترتيب هذه الأسباب للمسببات من الشرع ، و معطى الحقوق هو الله)

عناصر الانتاج فى المجتمع الاسلامى

الأستاذ محمد أبو السعود

هذه العناصر الطبيعية التى هى موهبة الخالق منحها لعباده ، هى أول عنصر من عناصر الانتاج ، و هى وحدهـا لا تنتج و لا تكفى حاجات الناس ، بل لابد من عمل الانسان ، و نحن معشر المسلمين نتميز عن غيرنا بأننا حين نعمل أى عمل بنية صالحة فاننا نؤمن بأن لنـا عند الله ثواباً فوق ما نستمتع به فى الحياة الدنيا ، و هذه طاقة معنوية هـائلة ، و هى ضرورة حيوية فى التنظيم الاقتصادى . إذ هـناك فرق كبير بين رجل ينتج بنية النفع و الانتفاع و يعمل بقصد العمل و خدمـة المجتمع و يجاهد انصياعا لأمر الله و حباً فى طـاعته ، فرق بين هذا و بين من ينتج لمجرد الانتفاع الشخصى حتى لو جر على غيره الضرر و الخراب ، فالعمل الصالح بهذا الوصف هو العنصر الثانى من عناصر الانتاج فى المجتمع الاسلامى .

أما العنصر الثالث لكل انتاج فهو رأس المـال بمعناه الواسع فعلم الطبيب رأس مال ، و فن الرسام رأس مال و عدد النجار رأس مال ، و آلات المصنع رأس مال . و هكذا كل ما استعمل فى انتـاج طيبة و كان للبشر يد فيه فهو رأس مال . وعلى ذلك فان الأرض غير المستصلحة و الهواء و ماء المطر بل كل ما لم يكن للانسان دخل فيه و لا صنعة كل

ذلك و ما شابهه لا يسمى اصطلاحا برأس مال ، و بعبارة أخرى فرأس المال هو ناتج العمل المنصب على موهبة من مواهب الطبيعة و المهيأ لاستخدامه فى انتاج طيبة من الطيبات

من هذا يتضح لنا أن رأس المال أصلا هو ناتج عمل الانسان مباشرة على الطبيعة لأنتاج طيبة من الطيبات ، سلعة مادية كانت أو خدمة معنوية ، و ذلك بقصد استعمالها فى انتاج طيبة لاحقة ، ونظراً لماوصلت إليه الحضارة البشرية من تخصص فى العمل و ارتقاء فى المعرفة و زيادة هائلة فى الانتاج ، و حيث لا مناص من استخدام ما ينتج الغير لاستكمال متطلبات الانتاج الرأسمالية ، فقد اعتبر رأس المـال العنصر الثالث الذى لا معدى عنه فى الانتاج الحديث .

بين الانتاج و الملكية

و قد اختلف الناس فى التاريخ الحديث حول أحقية تملك عناصر الانتاج . هل تكون ملكية جماعية تقوم عليها الدولة بوصفها الممثلة للمجتمع أم يجوز للفرد أن يتملك منها ما شاء و لو بحقـه ؟ و قد احتدم هذا الخلاف فى المائة سنة الأخيرة فى "بلاد الأوربية أولا ثم انتقل إلينـا نحن المسلمين فى هذا القرن البئيس ، و كأن الله سبحانه و تعالى لم ينزل لنا قرآناً فيه تفصيل كل شئ ، فأخذنا نتجادل و نتمارى فى الملكية وذهبنا طرائق قدداً . فمنا من يقول بالملكية العامة جرياً وراء مذهب كارل ماركس ، و منا من يخفف ذلك فيذهب إلى ملكية الدولة لبعض الأشياء دون الأخرى و تلك هى الاشتراكية بمختلف تعاريفها و مذاهبها ، و منا من يذهب إلى وجوب اطلاق التملك دون قيد و لا شرط ، اتباعا لمذهب

« آدم سميث » و قليل منا من ينادى بالملكية الاسلامية . و الأدهى من ذلك أن كثيراً من علمائنا و فقهائنا ينادون بمذهب جديد أطلقوا عليه « اشتراكية الاسلام »

لا يا قوم . هذا حرام وضلال ، فالاسلام حر لايقبل أن يشوبه غيره ، فاما إسلام صريح صراح و إما شئ آخر سوى الاسلام ، هذا حرام لأن الله تعالى يقول « من يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه » كما أنه ضلال لأن هذه المذاهب الاقتصادية المختلفة إنما قامت لظروف خاصة بالمجتمع الأوربى المسيحى ألمحنا إليها فى مستهل هذا البحث المقتضب، ظروف تعلقت بالمسيحية و ما آلت إليه ، و بالكنيسة و ما تدخلت فيه و بنظام الحكم الذى استرق الأفراد دون تمييز و جعلهم رقيقاً يباعون مع الأرض و الحرث و الأغنام ، ظروف لا تمت إلينا بصلة ، ولاتتمشى مع تاريخنا ونظامنا و طبائعنا وعقيدتنا الحنيفية ، فلماذا ننسب إلى الاسلام ما ليس منه ، و لماذا نقرن الاسلام بغيره من النظم و المذاهب ؟ أللهم إنى لا أرى سبباً لذلك سوى ضعف العقيدة أو عدم فهم الاسلام ، أو عمى القلوب و البصائر

إن الذين قالوا بالملكية الجماعية ، و ملكية الدولة لعناصر الانتاج الثلاثة كانوا متأثرين بظروف اجتماعية و اقتصادية خاصة ، يهمنا منها فى هذا المجال انحصار المال فى أيد قليلة و وجود طبقة صغيرة من الناس احتكرت النقد فحالت دون تداوله بين الناس فعاقت تبادل المنافع وعطلت من عجلة الانتاج و فرضت الفقر على العمال و الحزبة على المنتجين و المستهلكين ، و لقد فصلنا طرفا من ذلك فيما سبق ، و بدلا من أن

نعالج الداء من أساسه التجأنا إلى قلب نظام الفطرة ومهاجمة قانون الطبيعة و لم نجن من وراء ذلك إلا شقاء الأفراد و المجتمع و النزول بالانسان إلى درك الحيوان ، وإيجاد طبقة جديدة من «الحكام» ينعمون على حساب الآخرين المحرومين

بين الرأسمالية و الاشتراكية

إن أنصار التملك الجماعى لعناصر الانتاج يخلطون بين هذه العناصر و لا يكادون يفرقون بينها ، و يستندون فى دعواهم إلى أن الملكية تؤدى إلى وجود طبقات تتحاسد و تتحارب و تتمايز فى المجتمع ، فتوجد طبقة من الملاك و أصحاب رؤوس الأموال تتحكم فى رقاب الآخرين مستعملة سلاح الملكية و يستغلون فقر الفقير لمصلحتهم دون رحمة و لا هوادة .

و هذا لعمرى خلط و تعلل لا يستقيم مع منطق و لا يتفق مع واقع ، إذ لو نظرنا إلى بعض الدول الممعنة فى الرأسمالية كالدانمرك والسويد و كندا فاننا لا نجد أثراً لهذا الظلم الاجتماعى - و إن وجدنا آثاراً سيئة أخرى - و إن نظرنا إلى دول اشتراكية ممعنة فى اشتراكيتها و شيوعيتها كروسيا و الصين و ألبانيا فسنجد تلك المساوىء قائمة ماثلة أمام كل ذى عينين منصفتين ، و مدلول ذلك أنه ليست «الملكية» فى حد ذاتها بالشئ الضار أو الشئ المفيد و إنما استعمال هذه الملكية هو الذى يجب أن يكون محور البحث و موضع التحقيق

و ملكية موهبة من مواهب الطبيعة شئ . و ملكية المال أو النقود شئ آخر ، و لو أردنا حقاً أن نبطل ما يسمى شرور الغنى فى المجتمع ، فان يكون ذلك بافقار الغنى و تجريده من ماله ، و لكنه يكون بمراقبة

استعمال ما يملك من ثروة بحيث لا يتمكن من إلحاق الاذى بغيره من الأفراد و لا يخل بالقواعد الأساسية للمجتمع الاسلامى المتكافل ، و هذا الحد من سلطان المال لا يبرر قط ما ذهبت إليه المذاهب السياسية الاقتصادية المعاصرة من التطاول على كرامة الانسان ، و اعتبارها جزءاً من آلة انتاجية لا روح فيها و لا حياة ، و لا خيار له و لا ارادة ، و إنما يكون بتزكية المال و سلبه تلك القوة و هذا السلطان ، و باخضاعه إلى ما تخضع له سائر المخلوقات من سنة التناقص و الفناء ، و حينئذ ليجمع من شاء ما شاء ، و ليملك من أراد ما أراد ، إذ لن تفيئ عليه الملكية إلا عائداً نقدياً يتحتم عليه إنفاقه ، معناه افادة غيره و تجريده من سلطان التحكم فى مصائر الآخرين ، إذ لن يكون له الحق فى المنع والمنح و الحرمان و العطاء بل إن مجرد تطبيق نظام النقد المزكى سيمكن الغالبية من الملكية بحيث يقل التمايز إلى أقصى حده ، فان كانت ملكية الأرض الزراعية تجلب على مالكها أكبر النفع فسنحرم صاحب الأرض أولا من أن يكرى أرضه بمجل ثابت وسنقصر حقه فيها على مقدار ما يبذل من جهد و عمل أو من بذر و سبخ أو من رى و آلة تطبيقاً لمبدء الغنم بالغرم ، و سيكون أيضاً فى مقدور كل مزارع أن يجد المال ليستصلح أرضه و يزيد من غلته ، و لن يجد أدنى صعوبة فى ذلك إذ ستكون النقود موفورة و لن يدفع عنها أية فائدة ، و سنبين وجهة نظرنا فى الملكية الزراعية كما استوحيناها من روح الاسلام الحنيف و نظامه

و إن كانت الملكية فى المصانع تنتج سلعاً تدر ارباحا أكثر من معدل الارباح السائدة ، فسرعان ما يقبل من قدر على الانتاج و حذق

فنونه على إنشاء هذه المصانع جرياً وراء الربح الحلال وسعياً وراء الرزق الموفور و لن يعوقه ضيق ذات يده ، إذ سيجد « رأس المال » متوافراً و ستقدمه إليه المصارف دين رباً أو فائدة .

إباحة الملكية الفردية

إن النظام الاسلامى يحتم إباحة الملكية الفردية بشرطها ، فقد جاء النص صريحاً قاطعاً فى وجوب رد المال إلى صاحبه ، يقول تعالى (فان تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون و لا تظلمون) و فى حديث رسول الله ﷺ عن ابن عباس أن النبى قال لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن « فان هم أطاعوا لك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم ، فان هم أطاعوا لك فاياك وكرائم أموالهم » (رواه الخمسة) و عنه عليه السلام (كل المسلم على المسلم حرام ، دمه و ماله و عرضه) فللمسلم أن يمتلك ماشاء من الثروات إلا ما حرم الله ، و مادامت سبيل الملكية حلالا ، فلا غصب ولا غش و لا تزوير ، وعليه أن يؤدى الزكاة عما ملك ، فان فعل فليس لأحد أن يصادر أمواله أو أن يتعرض لها بأية صورة من الصور .

على أن البعض قد يتساءل : فماذا لو اقتضت المصلحة الاستيلاء على ملكية خاصة لاستعمالها فى مرفق عام كشق طريق أو بناء مستشفى أو غير ذلك ؟ جواب ذلك أنه مباح دون شك ، إذ المصلحة العامة فوق المصلحة الخاصة ، و الحكمة هنا ظاهرة ، و لابد فى هذه الحالة من تعويض صاحب المال تعويضاً عادلا .

● الأدب سلاح من صميم الحياة ، إنه يصور ما فى هذه الحياة من أفراح و أتراح و آلام و آحلام ، إنه يهز أوتار القلوب و يوقظ المؤهلات النائمة و يلهب الجذوة الكامنة ، إنه يبنى و يهدم و يصلح و يفسد و يصدق و يكذب فليكن هذا السلاح فى أيدى المؤمنين الأبرار الأطهار أولى الأيدى والأبصار يضعونه فى خدمة الدعوة يلعب دوره العظيم بين الآداب الجاهلية الجنسية المحترقة التى طغت على البلاد فأكثرت فيها الفساد .

فى رياض الشعر والأدب

بروى

سليمان عليه السلام فى القرآن

(٢)

الأستاذ الشهيد سيد قطب

« فلما جاء سليمان قال : أتمدوننى بمال ؟ فما آتانى الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون ، ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لاقبل لهم بها ، و لنخرجنهم منها أذلة و هم صاغرون »

و الآن لقد رد الرسل بهديتهم ، فلندعهم فى الطريق قافلين .

إن سليمان النبى لملك ، و إنه كذلك لرجل ، و إن « الملك » ليدرك من تجاربه أن هذا الرد العنيف سينهى الأمر مع ملكة لا تريد العداء - كما يبدو من هديتها له - و أنها ستجيب دعوته على وجه الترجيح ، بل التحقيق ، و هنا يستيقظ « الرجل » الذى يريد أن يبهر « المرأة » بقوته و بسلطانه (و سليمان هو ابن داود صاحب التسع و التسعين نعجة الذى فتن فى نعجة واحدة) (١) ، فها هو ذا يريد أن يأتى بعرش الملكة

---

(١) فى قصة داؤد فى القرآن إشارة إلى فتنته بامرأة مع كثرة نسائه فأرسل الله إليه ملكين يتخاصمان عنده « إذ دخلوا على داؤد ففزع منهم قالوا : لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق و لا تشطط و اهدنا إلى سواء الصراط إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة فقال: أكفلنيها و عزنى فى الخطاب قال : لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه ! » و عرف داؤد أنها الفتنة « فاستغفر ربه وخر راكعاً و أناب »

قبل أن تجئ ، و أن يمهد لها الصرح من قوارير (و إن كانت القصة تبقى الصرح سراً - حتى عنا نحن النظارة - لتفاجئنا به مع بلقيس فى المشهد الأخير)

« قال : يا أيها الملأ ! أيكم يأتينى بعرشها ، قبل أن يأتونى مسلمين قال عفريت من الجن : أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك ، و إنى عليه لقوى أمين » .

و لكن الأهداف الدينية لا تريد أن يكون للجن قوة ، و لو كان من جن سليمان ، فها هو ذا رجل من المؤمنين - عنده علم من الكتاب - تفوق قوته قوة ذلك العفريت !

« قال الذى عنده علم من الكتاب : أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك » .

و هنا فجوة كما تغمض العين ، ثم تفتح :

« فلما رآه مستقراً عنده قال : هذا من فضل ربى ، ليبلونى أ أشكر أم أكفر ، و من شكر فانما يشكر لنفسه ، و من كفر فان ربى غنى كريم »

لقد استيقظ « النبى » فى نفس سليمان ، أمام نعمة الله التى تتحقق على يدى عبد من عباد الله ، و هنا يستطرد سليمان فى الشكر على النعمة بما يحقق الغرض الدينى للقصة .

ثم ها هو ذا « الرجل » يستيقظ فى سليمان مرة أخرى :

« قال : نكروا لها عرشها ، ننظر أتهتدى أم تكون من الذين لا يهتدون »

و هنا يتهيأ المسرح لاستقبال الملكة ، و نمسك نحن أنفاسنا فى ارتقاب مقدمها :

« فلما جاءت قيل : أهكذا عرشك ؟ قالت : كأنه هو » ثم ماذا ؟ إن الملكة لم تسلم بعد هذه المفاجأة - فيما يبدو - « و صدها ما كانت تعبد من دون الله أنها كانت من قوم كافرين »

و هنا تتم المفاجأة الثانية للملكة و لنا معها :

« و قيل لها ادخلى الصرح فلما رأته حسبته لجة و كشفت عن ساقيها ، قال : إنه صرح ممرد من قوارير ! قالت : رب إنى ظلمت نفسى و أسلمت مع سليمان لله رب العالمين »

و هكذا كانت بلقيس « امرأة » كاملة تتقى الحرب والتدمير و تستخدم الحيلة و الملاطفة ، بدل المجاهرة و المخاشنة ، ثم لا تسلم لأول وهلة ، فالمفاجأة الأولى تمر فلا تسلم فاذا بهرتها المفاجأة الثانية ، وأحست بغريزتها أن إعداد المفاجأة لها دليل على عناية « الرجل » بها ألقت السلاح وألقت بنفسها إلى الرجل الذى بهرها ، و أبدى اهتمامه بها ، بعد الحذر الأصيل فى طبيعة المرأة ، و التردد الخالد فى نفس حواء !

وهنا يسدل الستار فما فى القصة من الوجهة الدينية و لا من الوجهة الفنية زيادة لمستزيد ، إلا أن يحاول عقداً أخرى فنية بحتة . لا تصل بالغرض الدينى ولا تساوقه و إنه لحسب قصة دينية و جهتها الدين وحده أن تبرز هذه الانفعالات النفسية ، و أن ترسم هذه « النماذج الانسانية » و أن تعرضها هذا العرض ، و تنسقها ذلك التنسيق .

و بهذا البيان نختم فصل القصة فى القرآن . و فيها وراء ذلك متسع لمن شاء البيان .

دموع و دماء !

الأستاذ أبو حيدر
﴿ سوريا ﴾

كأس الحمام على الكرام تدار — و الدهر كل صروفه أطوار
أختاه ! قرحت الدموع محاجراً — أختاه ! صبراً إنها الأقدار
أختاه ! « سيد » فى الجنان منعما — هذا مناه له المهيمن جار
جاز امتحانات البلاء مظفراً — النور فيض جبينه و النار
هذا سبيل المصلحين محمد — قد خطه و تتابع الأبرار
القتل فيه و التشرد و الأسى — و السجن و التشويه و الافقار
السير فيه شرعة مفروضة — لله ليس لنا بذاك خيار

■ ■ ■ ■

أختاه ! و ابكى المسلمين فانهم — خول يسومهم الأذى الأشرار
يا حسرتا للمسلمين دماؤهم — مهدورة و ولاتهم كفار
أموالهم منهوبة و حقوقهم — مسلوبة و حياتهم أكدار
ضلوا و مزقت الذئاب قطيعهم — ذلوا و أغضت منهم الأبصار
وإذا استفاق من العماية ناصح — أهوى و أطفأ نوره إعصار

■ ■ ■ ■

يا أيها العاتى بمصر ضلالة — إن الزمان كما ترى دوار
فرعون قبلك قد تأله ضلة — و لوى زمام شروره استكبار
فهوى بكل شروره و غروره — لم يغن عنه جيشه الجرار
هذى بلاد المسلمين أرادها — من قبلك المتجبرون فخاروا
و غراسك اللاتى تريد نماءها — فى ذى المرابع مالهن قرار
فترابها يأبى عليها ماءه — و هواؤها سم لها و دمار
و محمد لا أنت فيها قائد — و الشرع فيها لا الضلال شعار

■ ■ ■ ■

يا رب أنصار لدينك سلسلوا — ظلماً و جار عليهم الفجار
فى جوف أشداق السجون مقيلهم — النار فوق جباههم و القار
يتضورون من العذاب دماؤهم — تجرى و صرح قواهم منهار
و الكهرباء ترف فى أوصالهم — فيشل كل قواهم التيار
أشياخ لم تحلق لحاهم إنما — نتفت و داس مكانها الأشرار
لو كان أهل الفضل يعرف فضلهم — خضعت لعظم علاهم الأقمار

■ ■ ■ ■

يا اخوتا صبراً فهذا دربنا — للصبر أو للخلد ، و هو منار
إن يهجر الناس الكتاب فانما — أنتم له رغم الأذى أنصار
يا اخوتا لو أستطيع فديتكم — قسما بروحى ، و الهوى أقدار
ما حيلتى و أنا الضعيف وليس لى — إلا الدعا و الدمع و الأشعار

■ ■ ■ ■

يا سيد السادات يا قطب الهوى — بشراك تلك الجنة المعطار
وافيت و الدنيا ظلام و الملا — مطموسة و المكرمات بوار
قد كان درب الحق محطوم الهوى — فهديته بالفكر فهو منار

أتبعت بالقول الفعال وهكذا ... بالفعل أقوال الكرام تنار
منوك بالدنيا فعفت حطامها ... فنى نفوس العارفين كبار

و توعدوك فلم تبال ضلالهم ... أبداً يعاف الذلة الأحرار
لم يقتلوك فأنت حى فى السما ... يلقاك فيها العصبة الأطهار
لم يقتلوك و إنما هى سبة ... أبداً تلاحق ظالميك و عار
لم يقتلوك و إنما العلم الذى ... دونته فى ذى الحياة منار
علم تشع من الكتاب فيوضه ... سفرت لعظم بهائه الأسرار
و يعج فى روضاته سحر الهدى ... و تضج فى لألائه الأفكار

قد طوف الآفاق نعيك فالنوى ... أهل التقى و تصافح الفجار
عظم المصاب فنى البرية رعدة ... كالكهرباء و فى الدنا إعصار
فى كل قلب لوعة مجنونة ... و بكل عين حرقة مدرار
جمدت كقنديل الصقيع قلوبنا ... و تلهبت فلها عليك أوار
العيش بعدكم كفاح دائم ... بيد الاله الرزق و الأعمار
فى القلب غنى يامدافع و أعزفى ... و تراقصى وسط الحشا يا نار
وتجهزى يا روح عرسك فى غد ... واشحذ نيوب ضراوتى يا ثار
ستكون فى هذا الظلام مشاعلا ... حتى يفيض على الحياة نهار

العالم الاسلامى أسرة هذه الفئة المؤمنة المنتشرة فى الكرة الأرضية كلها وهبت نفسها لله و آمنت بوعده و صدقت بكلماته و وضعت مكاسبها و مواهبها و مؤهلاتها فى سبيل الدعوة ، فتلاشت لديها كل هذه الفروق والفواصل و الحدود و القيود و الألوان والأوطان التى يتغنى بها أهل هذا الزمان « ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين» يلتقى فيها العربى مع الأخ الهندى والباكستانى و الأفغانى و التركى و الاندونيسى يشارك بعضه بعضاً فى آلامه و مسراته و شدته و رخائه ، ويشد ازر أخيه فى مشكلاته وأزماته امتثالا لأمر الله تعالى والمسلمون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر و الحمى .

العالم الإسلامى

العالم الإسلامى

بدوى

معجزة الاسلام فى كوريا

﴿ السيد محمد جميل من كبار المطلعين على الحركات التبشيرية فى العالم الاسلامى و قد ظل يحارب حركة التبشير فى باكستان منذ زمان ، و له فى هذا المجال جولات وصولات، و نشر كتاباً هاما بالانجليزية استقصى فيه جهود المبشرين المسيحيين مزوداً بالاحصاءات والأرقام والشهادات والوثائق و له اتصال وثيق عميق برجال ندوة العلماء فقد عاش بينهم منذ صغره كواحد من أبناء أسرتهم، ثم هاجر إلى باكستان و شغل مناصب هامة هناك مدة من الزمن ، و قد شهد له بعض أقرانه أنه كان منذ صباه يتمنى أن ينشر الاسلام فى الصين وحقق الله أمنيته أخيراً ، فزار كوريا وأسلم هناك على يده عدد وجيه من الشباب الجامعى وبعض رجال الصحافة و واحد من كبار القضاة، والسر فى نجاحه إخلاصه وتطوعه فهو لا يسأل على ذلك أجراً و قلبه المتوقد المتحرق للاسلام و المسلمين الذى لايعرف راحة و لا استجماما .

و فيما يلى مذكرته القيمة التى أرسلها إلى الأستاذ أبى الحسن على الحسنى الندوى وهى تتضمن معلومات سارة وحقائق خطيرة عن الاسلام فى كوريا يجب علينا جميعاً دراستها و الاطلاع عليها و تعبئة القوى و الجهود لتحقيق رسالتها .

(التحرير)

الباحث على رحلتى إلى كوريا إنما هو رجلان من مسلمى هذه البلاد الذين وفدا إلى باكستان ، و الحقيقة أنها هما الذان حفزانى على

هذه الرحلة ، إن تاريخ مسلمى كوريا يرجع إلى عهد الجيش التركى الذى كان نازلا فى «سيول» فأسلم على يده بعض المسيحيين .

و قد اطلع عدد من أهل كوريا على تعاليم الاسلام السمحة البيضاء وكونه ديناً يتفق والفطرة البشرية حينما سنحت لهم فرصة الاتصال بعدة من جنود الجيش التركى إنهم شاهدوا حياة أولئك الجنود خلال الحرب عن كثب و درسوا سلوكهم و أخلاقهم فى الحياة العامة فلم يلبثوا إلا أن أعجبوا بهم، ولا غرو فكل من رأهم وجربهم أعجب وتأثر بهم ، و الحقيقة أن الاسلام دخل فى كوريا عن هذا الطريق و وجدت فيها أقلية مسلمة لا تزال تتوسع دائرتها بدون أى مدد من الخارج .

و كنت أود أن أدرس الوضع الاسلامى فى كوريا بنفسى أولا ، لكى أصل إلى نتيجة حول نشر الاسلام وطريقته فى هذه البلاد ، و بناء على هذه الرغبة وصلت إلى «سيول» فى ٣ من نوفمبر ١٩٦٦ م فأسست فيها قبل كل شئ مسجداً موقتاً بدأ يجتمع فيه المسلمون ، وكان هذا المسجد هو مقرى هناك حيث أقضى جل وقتى واجتمع فيه بالناس ، عدا الزيارات الخاصة التى كانت تتم فى منازلهم ومراكز أعمالهم ، وقد زرت الكليات التى كان الشباب يدرسون فيها ، و قد نجحت هذه التجربة فوق ما كنت أتصور ، و نظراً إلى ذلك طلبت تمديد إقامتى فى كوريا من أسبوعين إلى أربعة أسابيع ، حتى تسنح فرصة الاتصال بالناس والاجتماع بهم اكثر مما أردت أول الأمر ، و هكذا كان .

اتصلت خلال هذه المدة برجال الفكر من أساتذة الجامعة وأعيان البلد وألقيت محاضرات حول الاسلام تحقيقاً لرغبتهم فى معهد V.M.C.A.

و أمثاله ، و جاءنى كثير ممن كانوا يتصلون بهذه المعاهد و المؤسسات إلى مقرى فى المسجد يستزيدون معلوماتهم عن الاسلام ويتبينون بعض النقاط فى محاضراتى ، وأحمد الله أن هذه الزيارات و الاجتماعات كانت لها نتائج سارة ، فقد أسلم عدد كبير من المثقفين ، من الأساتذة والأطباء وأصحاب الحرف ، و ذلك ما اضطرنى إلى تمديد إقامتى فى «سيول» بالرغم من شدة البرد فيها .

و غادرت سيول إلى باكستان عن طريق اليابان يوم ١٤ ديسمبر ١٩٦٦م بعد ما أتممت عملى و قد أثمرت هذه الجهود ما لا يستهان به بل يبعث على الأمل الزائد ، و الحمد لله الذى وفقنى إلى ذلك .

نالت جهودى - بوصف خاص - قبولا فى أوساط طلبة الكليات وأصحاب الحرف والصناعات ، كما أسلم عدد من مراسلى الجرائد و محرريها و أسلم خلال هذه المدة رئيس قضاة المحكمة العليا المتقاعد ، الذى يعتبر من كتاب كوريا البارعين و له عدة مؤلفات ، و كان معدل المهتدين الجدد من هذه الطبقة كل يوم بين ثلاثة و أربعة ، و قد تضاعف أحياناً هذا العدد فأسلم ثمانية رجال من الطبقة المثقفة و اهتدوا إلى الاسلام .

إننى أومن بأن الله سبحانه و تعالى أكرم جهودى فى مجال نشر الاسلام بالقبول و أرجو الله سبحانه و تعالى أنه إذا كتب لى التوفيق لمواصلة الجهود فى هذا السبيل و تيسر لى أربعة أعوان موازرين أن يتضاعف هنا عدد المهتدين الجدد إلى عشرة آلاف فى أقل مدة ، و أن تحتل جماعة المسلمين فى « سيول » مكاناً بارزاً ، أما إذا نجحنا فى توفير وسائل التعليم زيادة على جهود الدعوة فلا غرابة أن يبلغ عدد المهتدين

إلى الاسلام فى ظرف ثلاثة أو أربعة أعوام مأة ألف ، و يمكن ذلك إذا تواصلت جهود العاملين فى هذا المجال دون انقطاع ، و لا يشوبها نوع من الرياء و الأثرة .

و ليس أدل على إخلاصهم و إقبالهم على دعوة الاسلام من أننى مكثت فى كوريا ستة أسابيع بالرغم من البرد القارس و شعور الغربة فى بلاد ليس لى فيها أنيس و لا اليف ، و أخص بالذكر بهذه المناسبة الطلاب الذين وجدت قلوبهم ملآى بدافع الاخلاص والحب و نفوسهم مضطربة للبحث عن الحق ، وقد كان بعضهم ممن أتموا دراستهم يلازمونى طوال الليل لدراسة الاسلام و تعاليمه .

لقد ضحى هولاء الشباب براحاتهم ولذاتهم و أحيوا لياليهم فى سبيل تعلم أمور الدين و أحكامه ، فقد كانوا يقيمون فى المسجد يتعلمون طريق الصلاة و أحكامها و يستظهرون الكلمات و سور القرآن باللغة العربية ، و يسجلون مذكراتهم حول ما يتعلمون باللغة الانجليزية أو الكورية وكل ذلك ما يبعث على إزجاء الثناء العاطر إلى هولاء الشباب و يزيد قيمتهم .

و وفقنى الله إلى إدفاء المسجد و الغرفتين التابعتين للمسجد فى هذا البرد القارس لكى لا يصيب هولاء النازلين من برد أو تعب ، كما هيأت لهم القهوة لتكون لهم عوناً فى السهر .

كان الطلبة والزوار يجتمعون من الساعة العاشرة نهاراً حتى آخر النهار ، أما طلبة الليل فكانوا يفارقوننى الساعة التاسعة صباحا ويتوجهون إلى كلياتهم ، إنهم كانوا يشتغلون بأعمالهم فى المسجد حتى الساعة الثانية عشرة ليلا ، ويستيقظون فجراً ، وما كنت أرجو منهم مثل هذا الاقبال والانهماك ، و ما ذاك إلا

منة من الله و فضل منه

و واجهت بعض المشكلات لأن العاملين معى فى حقل الدعوة لم يكونوا يجمعون بين اللغة العربية والكورية غير عدد من الطلاب ممن كانوا اختاروا العربية كلغة أجنبية فى كلياتهم . و اتصلت بأستاذهم المختص فقال لى إن الجامعة تفكر فى فتح قسم اللغة العربية بقسم اللغات الأجنبية ابتداءاً من الدورة الآتية ، و لا شك أن ذلك يتطلب مدة ، و لكن لايمكن أن نترك المهتدين الجدد وشأنهم الذين قبلوا الاسلام بشغف زائد و رغبة بالغة ، فان المهم فى الظروف الحاضرة هو تعليم أمور الدين الأساسية ، كالصلاة و أحكامها ، و تركيز معانى الدين فى نفوسهم ، و ما لم نقف معهم موقف المعلم و الدليل فيما أعجبوا به من دين الاسلام و قبلوه ، لا يمكن أن يتصلوا به اتصالا مباشراً وثيقاً .

وتحقيقاً لهذا الغرض يجب أن توضع كتب ذات ثلاث لغات حول الاسلام و الصلاة و القرآن ، و ذلك بأن تكون اللغة العربية هى الأصل و تليها ترجمتها إلى اللغة الانجليزية ثم تنقل إلى اللغة الكورية بغاية دقة وتترجم إليها . و لدفع المشكلة موقتاً نقلت العبارات العربية إلى الحروف اللاتينية ، و ترجمتها إلى الانجليزية ، و قد ساعدنى فى ذلك أحد الاخوان الكوريين فطبع بعض الأجزاء بالآلة الكاتبة . و طبع بعضها بماكينة الطباعة اليدوية ، و سوف تطبع هذه المواد الضرورية فى الوقت المناسب بلغتين أو ثلاث على ورق جيد لنوزع فيما بين حديثى العهد بالاسلام .

كما يجب أن تؤلف رسالة حول الاسلام يستفيد منها منكرو الاسلام و المسيحيون و كل من ضل الطريق على السواء ، و قد ألفت هذه الرسالة

بالانجليزية و ترجمتها إلى اللغة الكورية عن طريق بعض الاخوان من كوريا ، و وزعت نسخ محدودة منها بين الخاصة ، وكان لها أثر طيب فى النفوس ، وذلك ما جعلنى أشعر بحاجة ملحة إلى طبع عشرات الألوف من نسخ هذه الرسالة و توزيعها فى الجماهير .

وربما عرضت على مشكلة تعدد الزوجات ، وصادفت بعض الاشكال فى حلها . ولكنى أقنعتهم فى مناسبات متعددة بموقف الاسلام منها وأعتقد أن موقف الدول الغربية من تعدد الزوجات و الاختلاط الجنسى الحر هو الذى أثار هذه الفكرة الممقوتة فى أوساط المسلمين و شد الخناق على السذج من رجال المجتمع الاسلامى فى كثير من الدول المسلمة .

و فى اليوم الأخير من اقامتى فى كوريا أقمت مادبة دعوت إليها جميع من دخلوا فى دائرة الاسلام من الطبقة المثقفة ، و الذين سبقوهم بالاسلام وكنت قد اجتمعت بهم يوم ١١ ديسمبر ١٩٦٦م ، و من حسن المصادفة أن اهتدى إلى الاسلام صاحب مطعم محلى و مديره قبل ذلك اليوم بأسبوعين ، ويعتبر هذا المطعم أول مطعم مسلم فى كوريا . و هو مطعم واسع يقع فى محل مركزى للبلد ، أقمت هذه المادبة فى هذا المطعم ، وقت الغداء ، فكان اجتماعا اخوياً ساراً ، حضره سفير ملايو و الملحق الصحافى للسفارة التركية ، و بهذه المناسبة يحلو لى أن أذكر لكم أن مشكلة لحم الذبيحة هنا كانت عاتية فسهلها الله عن طريق هذا المطعم .

و حضر هذا الاجتماع ١٣٠ مسلماً و صلينا جميعاً خلال الاجتماع صلاة العصر ، و اخترت عدداً من الطلاب ليقيموا فى باكستان ويقضوا فيها مدة ثلاث سنوات و لا يرجعوا منها إلا دعاة الدين و العاملين فى

حمل الاسلام ، وستكفل نفقاتهم طوال مدة اقامتهم فى باكستان ، جمعية نشر القرآن العظيم ، كما أريد أن يبعث ١٢ من مسلمى كوريا إلى الأقطار الاسلامية الأخرى لدراسة الاسلام ، وأرى أن يوفد عدد من المتخرجين فى العلوم الاسلامية إلى سيول بدون أى تاخير لكى يواصلوا عمل الدعوة فى المهتدين الجدد وفيمن لم يهتدوا إلى الآن ولكنهم ينظرون إلى الاسلام بنظرة إعجاب .

يوجد فى جامعة « هن كاك » بقسم اللغات الأجنبية ثلاثة أساتذة يدرسون اللغة العربية ، و أما الكتب التى تدرس فى المقررات الدراسية فهى مما نشرته أمريكا ، واتصلت برئيس هذا القسم الدكتور « ريو » وهو فصل الأردن فى كوريا ، و هو مستعد لبدء تدريس لغة القرآن ، التى هى منبع كل لغة عربية حديثة و قديمة .

وصلتنى عدة رسائل خلال إقامتى فى كوريا من أهل القرى المجاورة و يبدو أنهم مستعدون لاجابة دعوة الاسلام ، فقد طلبوا منى رسائل حول الاسلام ، و أعتقد أن فى سيول و ما يجاورها إمكانيات قوية لنشر الاسلام و هى أرض خصبة لتأسيس فرع لجمعية نشر القرآن ، وأرجو أننى سأعود إلى كوريا فى شهر مارس ١٩٦٧ م .

الثورة على علمانية العلوم وتخطيطها الاسلامى الجديد

الحل الوحيد ، والواجب الكبير

الدكتور رفيع الدين لاهور

أنا أومن بأن عقيدة الاله المطلق كما ذكرها القرآن ما لم تتغلغل فى مناهج الجامعات الحديثة و لم تقع منها موقع الروح من الجسد لاتستطيع الأمة الاسلامية استعادة مجدها السالف ، ولا تتمكن من أداء دورها فى بعث الاتحاد والسلام المؤسس على الايمان ، فان رأس كل فتنة فى العصر الحاضر إنما هى علمانية العلوم و تجردها من معنى الدين ، و هى التى ينبع منها كل لون من ألوان العلمانية ، فالعلمانية السياسية والخلقيةوالعلمانية الثقافية و الفنية و علمانية السفارات و الجيش إنما مصدر كل ذلك هو علمانية العلوم ، و هى التى أنشأت كل فلسفة علمانية مادية للاشتراكية و الانسان و الكون ، و تلك التى خلقت نظريات القومية و الشعوبية و الوطنية ، و العروبة أو القومية العربية التى أحدثت بلبلة فكرية فى العالم الاسلامى .

و قد أعجبنى ما ذكره الأستاذ أبو الحسن على الندوى فى أحد مؤلفاته القيمة التى أصدرها أخيراً :

ما من بلد إسلامى يبرز على خريطة العالم المستقلة إنما ينجرف قادته السياسيون فى تيار العلمانية ، وأعتقد أن أساس هذهالحقيقة المؤلمة هو علمانية العلوم فحسب ، إننى حدثت فى كتابى الأول الذى صدر فى عام ١٩٤٦ باسم (Ideology of the Future) و أحرزت به شهادة الدكتوراه : أن العلوم الطبعية اللادينية ستدون فى ضوء عقيدة الاله ، لأن النهضة الانسانية تتوقف على ذلك ، و كنت أتوقع فى ذلك الوقت أن دولة

إسلامية أو مؤسسة إسلامية ستقوم بهذا الواجب الضخم ، وعندما وجدت باكستان رأيت أن هذا الحلم سيتحقق فى هذه الدولة الاسلامية و لكننى مازلت أنتظر حتى إذا مضت عشرون سنة ألقى الله فى روعى أن أقوم بهذا العمل و اعتمد فيه على نفسى و على الله دون انتظار أو تأخير .

و قد عرف محمد اقبال و عديد من أقطاب الفكر الاسلامى بأهمية هذا العمل و قيمته ، غير أن أيا منهم لم يحمل عبئه نظراً إلى خطورته و دقته ، و أحمد الله سبحانه و تعالى أنه رزقنى همة و أعتقد أننى سأقوم بهذا العمل الجليل وأنجزه باذنه ، ولعل حكمة الله اختارننى لكى أحمل هذا العب· الثقيل متوكلا عليه ، فبدأت به و يشاركنى فى إنجاز هذا المشروع عدة من الأثرياء و المخلصين المسلمين ، و قد أسسنا جميعاً هيئة باسم (All Pakistan Islamic Congress) و يتوزع عمل هذه الهيئة فى مرحلتين

١ - تضع الهيئة فى المرحلة الأولى جميع الكتب المقررة لعلوم الطبيعة فى امتحانات البكالوريا و ما قبلها على أساس أن تكون فكرة الاله هى المحور الأساسى لموادها ، و لا يتجاوز عدد المواد السائدة لعلوم الطبيعة التى تدرس فى الجامعات اليوم أكثر من ٢٥ مادة ، فلا يكون عدد الكتب الموضوعة أكثر من ذلك أيضاً ، و سيعكف على وضع كل كتاب اثنان من خبراء هذه العلوم وتهتم الهيئة بطبعه و نشره فى أحسن شكل مظهراً ومخبراً . وتستغرق هذه المرحلة خمس سنوات . أما أنا فسأكتب على كل مادة مقدمة وعدة صفحات كنموذج لكل كتاب و استشير فى ذلك الخبراء المختصين ، و قد فرغت من كتابة نموذج لكتاب فى الطبيعة

لمرحلة ماقبل بكالوريا يتضمن ٧٥ صفحة من قطع الكبير ، وسأكتب نموذجا آخر لكتاب فى بيولوجيا ، و قد عنيت اللجنة التنفيذية للهيئة خليفة لى حسب اقتراحى و توصيتى فى ذلك . و هو مقبل على التهيؤ للقيام بواجبه .

٢ - أما الرحلة الثانية لعمل الهيئة هى فكرة تأسيس جامعة لتدريس هذه الكتب الموضوعة ، و يكون محيط هذه الجامعة ممثلا لروح هذه الكتب المقررة فى المنهاج الدراسى ، فان عبادة الله و تقديسه و حياة الايمان هما وسيلتان لتنمية الشخصية المثالية وتربيتها ، ولكنهما لا يحدان سبيلا إلى جامعات العالم اليوم، أما هذه الجامعة المزمع إنشاؤها فستخدم هاتين الوسيلتين تمام الاستخدام ، . و لذلك أرجو الله أن تكون هذه الجامعة أول جامعة إسلامية مؤسسة على الايمان وفكرة الدين لا فى العالم الاسلامى وحده بل فى العالم الانسانى كله ، إنها ستقوم على أساس متين لفلسفة التعليم الصحيحة و تهتم بابراز الشخصية الانسانية المثالية وتربيتها .

و يعترف خبراء التعليم فى العالم المعاصر بأن الغاية من التعليم إنما هى تربية الانسان على الوجه الصحيح ، و لكنهم لا يعرفون الطريق إلى تلك التربية و لا يدرون اتجاهها الطبعى المستقيم .

و يبرز هنا سؤال ، أين المالية التى تنفق على هذا المشروع الجليل ؟

ولم نستطع أن نرد على هذا السؤال بما يطمئن الناس ، فان التبرعات التى بعثها إلينا بعض المخيرين لا تعدو عدة آلاف ، ولا تشغل فراغا مالياً مهما ، و نخشى أن هذه الاعانة الضئيلة يخذله فى الطريق وتذهب كل هذه الجهود و الأموال سدى و تصبح هباءاً منثوراً

و قد زار مقر الهيئة فضيلة الشيخ سرور الصبان الأمين العام لرابطة

العالم الاسلامى و لكن لم أحظ بزيارته ، أما رابطة العالم الاسلامى التى تستهدف التضامن الاسلامى فى الوقت الحاضر فلا ندرى إلى أى مدى تتركز جهودها على مبدء أن تضامن المسلمين لا يتحقق إلا بقوة الايمان ، فان كان ايمانهم بالله راسخاً قوياً ، جمعهم تحت راية واحدة ، و جعلهم يداً واحدة على كل قوة تحاربهم و تحارب دينهم ، و إلا فلا .

إن أكبر سبب لتشتت قوى المسلمين اليوم إنما هو فلسفات علمانية و نظريات عنصرية وطنية و اقتصادية أنتجتها العلوم العلمانية ، فان انتهت علمانية العلوم انتهت معها دعوة النظريات العلمانية ، و قوى إيمان المسلمين بالله و رسوله و انبثعت القوى الكامنة التى توحد صفوفهم

لقد ركزنا جهودنا على القضاء على علمانية العلوم فلابد أن تمد رابطة العالم الاسلامى يد التعاون إلينا لكى تنجح فى دعوتها إلى التضامن الاسلامى واتحاد المسلمين على مبدء واحد . لأن نجاحها يتوقف على نجاح هذا المشروع الجليل . فان ساعدتنا الرابطة وحلت الأزمة المالية لاستطعنا بحول الله وقوته أن نهيئ كتب علوم الطبيعة المقررة فى المناهج الدراسية باللغتين الانجليزية والعربية ، وتقررها جامعات المملكة السعودية والأقطار العربية فى مناهجها ، و سيكون ذلك انتصاراً كبيراً فى مجال العلوم والتعليم .

لا تنس هذا الدواء

Sufoof - E - Daibetis

لا تنس الدواء المفضل للقضاء على البول السكرى ، إنه أسرع نتيجة و أدوم أثراً من أى دواء آخر ، يشفى - بحول الله و قوته - فى ظرف ثلاثة أشهر شفاءاً كاملا - الهاتف : ٢٩١٧٤

Hasani pharmacy - مطلوب وكل عام للخليج العربى

37 Gwynne Road, LUCKNOW. (U. P.) (INDIA)

مأثرة علمية كبرى تتم على يد محدث الهند الكبير

لقد أسدى شيخ الاسلام الامام عبد الله بن المبارك إلى الأمة الاسلامية صنائع لا تنسى يد الدهر ، وله آثار عديدة تحتل مكان الصدارة فى التراث الاسلامى ، وتعد من ذخائر الفكر الاسلامى الأصيل ، و منها مؤلفه الجليل « كتاب الزهد و الرقائق » الذى ظل مغموراً مطموراً منذ ألف و مائتى عام فى بعض مكتبات العالم الكبرى ، لم تمسه يد ناشر ولا ورد على مطبعة ليصدر منها كتابا مطبوعاً تتداوله الأيدى ، و تعرفه الأوساط العلمية و المكتبات الاسلامية العامة .

و أراد الله أن يعم نفع هذا السفر الجليل و يتم الغرض منه ، فقيض العلامة الجليل و المحدث الكبير سماحة الشيخ حبيب الرحمن الأعظمى إمام عصره فى الحديث النبوى و رائد زمنه فى خدمة الكتاب و السنة العظيمة فى الهند ليقوم بتحقيق هذا الكتاب الجليل و التعليق عليه و زيادة فوائده بما رزقه الله من علم جم و نظر عميق و اطلاع واسع ، و بصيرة نافذة فى العلوم الدينية و لا سيما علم الحديث الذى قل علماؤه و أنصاره فى هذا العصر .

و لقد أنجز العلامة الأعظمى هذا العمل الجليل و ألبسه ثوب التحقق و التعليق بأسلوب يفوق القياس و هى مبرة علمية كبرى تستحق بكل جدارة أن تنال إعجاباً عظيماً و ثناءاً عطراً من الأمة الاسلامية جمعاء ، و تقديراً بالغاً و شكراً جزيلا من الأوساط العلمية فى العالم كله .

تولى مجلس إحياء المعارف فى الهند بنشر هذا الكتاب الضخم الذى يشغل ٨٢٠ صفحة بالقطع المتوسط . و الكتاب لا يعد زيادة قيمة فى المكتبة الاسلامية العامرة فحسب . و إنما يعتبر من أهم مصادر الآثار والسنة وطلائع الكتب الاسلامية التى لها مكانة مرموقة فى النفوس